أسس البناء الفكري
في ضوء القرآن الكريم

د. يحيى محمد عامر راشد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك
جامعة الملك خالد/ كلية الشريعة وأصول الدين
قسم القرآن وعلومه / المملكة العربية السعودية

المقدمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه... أما بعد

فإن الصراع بين الحق والباطل وبين المسلمين وأعدائهم لن يتوقف بل يزداد مع مرور الوقت ضراوةً ويتسع أفقاً ويتعدد مجالاً ويتنوع أسلوباً وسيستمر قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ البقرة: ١٢٠

وقال تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ البقرة:٢١٧

وإن من أقبح وأخطر أنواع الحروب التي يشنها أعداؤنا في عصرنا الحاضر هي الحروب الفكرية التي يستهدفون بها أهمَّ مقوِّمين من مقومات المجتمعات الإسلامية:

١. **المقوِّم الفكري ممثلاً في الإسلام.**
٢. **والمقوِّم البشري ممثلاً في الشباب.**

ولهذا أصبح التصدي لهذه الحروب ومواجهتها من أوجب الواجبات ومن أولى الأولويات حفاظاً على الدين من التشويه والتشكيك وحمايةً للشباب من الانحراف العقدي والفكري الذي سقط فيه بعض الشباب عبر قنوات الاستقطاب المفتوحة التي لا يمكن التحكم فيها، ومن أخطر مهالك هذا الاستقطاب ومهاويه: الإلحاد، والرفض، والطائفية، والتطرف، والإرهاب...

إن الشباب هم عماد الأمة وعُدَّتها عليهم تقع مسؤولية بناء الأوطان والمحافظة على الأديان في كل زمان ومكان.

لهذا فإنهم الشريحة المجتمعية الأولى التي يستهدفها الأعداء في أهم مقوِّماتها الشخصية والإنسانية والدينية والعقلية والفكرية.

ولهذا فإن حمايتهم ووقايتهم وتحصينهم من الانحرافات الفكرية والعقدية يجب أن تكون في مقدمة

أولوياتنا وعلى رأس اهتماماتنا وفي أعلى سلم مسؤولياتنا على اختلاف مواقعنا: ولاة أمر، وآباء، ومربين، وأساتذة، ودعاة ، ومرشدين، ومسؤولين،فكل راع مسؤول عن رعيته، قال تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ) التحريم:٦

وقال صلى الله عليه وسلم :'' كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته)[1]

وانطلاقاً من هذه المسؤولية تأتي الكتابة في هذا الموضوع (أسس البناء الفكري في ضوء القرآن الكريم) مشاركة في التصدي لهذه الحرب الفكرية وحماية أبنائنا وشبابنا من الاحتراق بنيرانها، وتحصينهم من الإصابة بأمراضها ومنعهم من السقوط في مهالكها وإنقاذ من سقط وإعادة من خرج، وإصلاح من فسد وهداية من ضل وإعادتهم جميعاً إلى هداية دينهم القويم والطريق المستقيم.

مؤكدين بذلك أهمية مرجعية القرآن الكريم والسنة النبوية في حماية الشباب من الانحراف الفكري وفي معالجة كل ما يستجد في حياة المسلمين عملاً بقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) النساء: ٥٩

وقوله تعالى : (وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلا) النساء:٣ ٨

ومن الأسباب التي دعت للكتابة في هذا الموضوع ما يلي:

١. انتشار ظاهرة الانحراف الفكري والمجاهرة به عبر وسائل مختلفة.

٢. تأثر بعض شباب الأمة بالأفكار المنحرفة ومن أخطرها: الإلحاد، والرفض والطائفية،

(١) اخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر مرفوعاً , برقم (٨٩٣) (٥/٢) ٠

والتطرف، والإرهاب.

٣. استخدام أعداء الأمة للانحراف الفكري كسلاح يهددون به أمن واستقرار ورخاء الشعوب.

٤. معالجة الجهل وسوء الفهم اللذين أوجدا بيئة قابلة لمثل هذه الأفكار.

وتبرز أهمية البحث في النقاط الآتية:

١. تقديم رؤية لأسس البناء الفكري في ضوء القرآن الكريم.

٢. تأكيد شمولية القرآن وصلاحيته في كل زمان ومكان.

٣. إبراز أهمية ومحورية المرجعية القرآنية في حل كل ما يستجد من مشكلات في حياة الأمة.

٤. تقديم بحث علمي يؤصل لأسس البناء الفكري في ضوء القرآن الكريم.

ومن الأهداف التي يسعى البحث إلى تحقيقها ما يلي:

١. بيان أسس البناء الفكري في ضوء القرآن الكريم

٢. تحصين الشباب المسلم من الأفكار المنحرفة وتحقيق الأمن الفكري لهم.

٣. بيان خطورة الانحراف الفكري على الدين والحياة والإنسان وضرورة التصدي له.

وسوف أستخدم في كتابة هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي وذلك من خلال النصوص القرآنية المتعلقة بأسس البناء الفكري وجمعها جمعاً موضوعياً ثم تحليلها وتوجيهها توجيهاً استدلالياً.

وكما هو معلوم من عنوان البحث أن البحث منحصرٌ في أسس البناء الفكري في ضوء القرآن الكريم .

وفي ظل تزايد خطر الحرب الفكرية ووجوب العمل على مواجهتها باعتبار الحرب الفكرية خطراً يهدد حياة الإنسان وأمنه واستقراره تعددت طرق ومنطلقات مواجهة هذا الخطر وتحقيق الأمن الفكري للشباب، ومنطلقنا ومرجعيتنا في حل مشكلاتنا هو الكتاب والسنة.

وسيجيب البحث على السؤال التالي:

ما أسس البناء الفكري للإنسان في ضوء القرآن الكريم لحمايته من الانحراف؟

ويعد موضوع االفكر من الموضوعات المعاصرة والحديث عنه أصبح حديث الساعة في وسائل

الإعلام والتواصل الاجتماعي المختلفة وفي المؤسسات العلمية والبحثية، وقد كتب فيه الكثير من الكتب والأبحاث والمقالات، وعقدت له الكثير من الندوات والملتقيات، وكثرت فيه الخطب والمواعظ والإرشادات.

وسوف أحاول في هذا البحث أن أستفيد من ذلك كله بما يخدم البحث ويحقق أهدافه.

ويشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على: أسباب اختيار البحث، وأهميته، وأهدافه، ومنهجه، وحدوده، ومشكلته، والدراسات السابقة،

وخطة البحث.

التمهيد: مصطلحات البحث: ويحتوي على: مفهوم الأسس، ومفهوم البناء، ومفهوم الفكر، ومفهوم البناء الفكري كَمُرَكَّبٍ وَصْفِيٍّ.

المبحث الأول: الأساس العقدي.

المبحث الثاني: الأساس العلمي.

المبحث الثالث: الأساس العبادي.

المبحث ابرابع: الأساس القيمي.

المبحث الخامس: الأساس التشريعي.

والخاتمة: في خلاصة البحث.

أسأله تعالى التوفيق والسداد ..

❊ ❊ ❊

التمهيد
مصطلحات البحث

ويشتمل على مفهوم الأسس، والبناء، والفكر، ، والبناء الفكري كمركب وصفي.

مفهوم الأسس.

الأسس في اللغة: جمع أساس، والأساس :» أصل البناء» [1].

و ''الأساس: قاعدة البناء التي يقام عليها وأصل كل شيء ومبدؤه'' [2].

و '' والأُسُّ والأَسَسُ والأَساسُ: كل مُبْتَدَإٍ شيءٍ. والأُسُّ والأَساسُ: أصل البناء، والأَسَسُ مقصورٌ منه، وجمع الأُسِّ إِساس مثل عُسّ وعِساس، وجمع الأَساس أُسس مثل قَذال وقُذُل، وجمع الأَسس آساس مثل سبب وأسباب، والأسيس: أصل كل شيء. وأُسُّ الإنسان: قلبه لأنه أول متكون في الرحم، وهو من الأسماء المشتركة. وأُسُّ البناء: مُبْتَدَؤُهُ.. وقد أَسَّ البناء يَؤُسُّه أَسّاً وأَسَّسه تأْسِيساً، الليث: أَسَّسْتُ داراً إذا بنيت حدودها ورفعت من قواعدها، و هذا تأسيس حسن. وأُسُّ الإنسان وأَسُّه أصله، وقيل: هو أصل كل شيء» [3].

معنى الأسس في الاصطلاح.

الأسس في الاصطلاح :»هي: مجموعة الأصول التي تشكل إطاراً نظرياً للتربية [أو البناء] وتحديد غايته وتوضيح معايير نجاحه وتضفي نوعاً من التوحُّد على أنشطته ومفاهيمه، وتحلل عملياته.

أو هي النظريات الفكرية والعقائد النظرية التي يدين بها [البناة] وينطلقون منها في بناء[الفكر]

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية-إسماعيل بن حماد الجوهري، مادة (أسس) (٩٠٣/٣).

(٢) المعجم الوسيط-مجمع اللغة العربية-إبراهيم مصطفى وآخرون، مادة (أسس) (١٧/١).

(٣) لسان العرب لابن منظور، مادة (أسس) (٦/٦) (بتصرف).

وتقويمه» [1].

و ''الأساس: القاعدة التي يبنى عليها'' [2].

الفروق اللغوية بين المصطلحات المماثلة.

من المصطلحات المماثلة لكلمة (أساس) والتي توحي بأنها مرادفة لها في المعنى والحقيقة ليست كذلك كلمة(أصل، قاعدة).

فالأساس :»لا يكون إلا أصلاً وليس كل أصل أساساً؛ وذلك أن أُسَّ الشيء لا يكون فرعاً لغيره مع كونه أصلاً» [3].

أما القاعدة فهي :»ما يقعد عليه الشيء، أي يستقر ويثبت. وعُرفاً: قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها» [4].

مفهـوم البنــاء.

معنى البناء في اللغة.

البناء في اللغة: مصدر بنى يبني بناء «ويستعمل مجازاً في معان تدور حول التأسيس والتنمية»[5].

ويقول أيوب بن موسى الكفوي ''البناء لغة وضع شيء على صفة يراد بها الثبوت''[6].

ويقول ابن فارس: '' (بني) الباء والنون والياء أصل، وهو بناء الشيء بضم بعضه إلى بعض'' [7].

ويقول ابن منظور :'' والبناء: المبنيُّ، والجمع أَبْنِيَةٌ، وأَبْنِيَاتٌ جمع الجمع، واستعمل أبو حنيفة البناء

(١) الأسس العقدية والاجتماعية والنفسية للمناهج الدراسية بالمملكة العربية السعودية-ورقة عمل مقدمة لندوة (بناء المناهج، الأسس والمنطلقات)- د/ عبد الإله عبد الله المشرَّف(بتصرف)

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف-زين الدين محمد الحدادي،(ص٤٧).

(٣) الفروق اللغوية-أبو هلال العسكري،(ص ١٦٢).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف-زين الدين محمد الحدادي،(ص٢٦٦).

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة ـ للدكتور. أحمد مختار عبد الحميد عمر (٢٥٠/١).

(٦) الكليات (ص ٢٤١) .

(٧) مقاييس اللغة (٣٠٢/١) .

في السفن فقال يصف لوحاً يجعله أصحاب المراكب في بناء السفن: وإنه أصل البناء فيما لا يُنَمَّى كالحَجَر والطين ونحوه... والبناء يكون من الخباء، والجمعُ أَبنية. والبناء [عند النحويين] لزوم آخر الكلمة ضرباً واحداً من السكون أو الحركة لا لشيءٍ أحدث ذلك من العوامل، وكأنهم إنما سموه بناءً لأنه لما لزم ضرباً واحداً فلم يتغير تغير الإعراب، سمي بناء من حيث كان البناء لازماً موضعاً لا يزول من مكانه إلى غيره، وليس كذلك سائر الآلات المنقولة المبتذلة كالخيمة والمِظَلَّة والفسطاط والسرادق ونحو ذلك" [1].

وفي هذا إشارة إلى معنى الثبات الذي يوحي به لفظ (البناء).

وقد يرد (البناء) بمعنى الخَلْق، قال تعالى :(وَٱلسَّمَاءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْد وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) الذاريات:٤٧, وقال تعالى :(وَبَنَينَا فَوقَكُم سَبعا شِدَادا) النبأ:١٢.

ويقول ابن منظور :«البناء واحد الأبنية، وهي البيوت التي تسكنها الأعراب في الصحراء، فمنها الطِّراف والخباء والبناء والقبةُ والمِضربُ، وفي حديث سليمان-عليه السلام- :من هدم بناءَ ربه تبارك وتعالى فهو ملعون [2]،يعني من قتل نفساً بغير حق لأن الجسم بنيانٌ خلقه الله وركَّبه »[3] .

معنى البناء في الا صطلاح.

البناء في الاصطلاح: عرفه الكفوي_كما سبق_ بأنه «وضع شيء على شيء على صفة يراد بها الثبوت» [4].

---

(١) لسان العرب (٩٤/١٤) (بتصرف) .

(٢) ذكره ابن الأثير أبو السعادات في كتابه (النهابة في غريب الحديث والأثر)، مادة (بنا) (١/١٥٧)، ومحمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفتني الكجراتي في كتابه (مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار)، مادة (بنا) (٢٢١/١),وعبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي في كتابه (تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري) بلفظ (إن هذا الإنسان بنيان الله فملعون من هدم بنيانه)- رقم (٣٥٥)(٣٤٦/١)، وقال: غريب جداً.

(٣) لسان العرب(٦٥/١٤).

(٤) الكليات، (ص٢٤١).

مفهوم الفكر.

معنى الفكر في اللغة.

الفكر في اللغة: عرف بتعريفات كثيرة منها:

«الفَكْرُ والفِكْرُ: إعمال الخاطر في الشيء...» [١].

و ''الفِكرُ: اسم التفكر... والفِكْرةُ والفِكْرُ واحدٌ'' [٢].

و ''الفِكْرُ، وقالوا: الفَكْرُ، وهو ما وقع بخلد الإنسان وقلبه'' [٣].

و الفكر :''تردد القلب في الشيء...'' [٤].

و ''الفكر، ترتيب أمور معلومة للتأدي الى مجهول'' [٥].

و ''الفكر، بالكسر وبفتح: إعمال النظر في الشيء...'' [٦].

و ''الفكر: إمعان النظر في الشيء واعلم أن النظر والفكر كالمترادفين لأن بينهما تغايراً اعتبارياً بأن ملاحظةَ ما فيه الحركةُ معتبرةٌ في النظر وغيرُ معتبرةٍ في الفكر. والمشهور في تعريفيهما ترتيبُ أمورٍ معلومة للتأدي إلى مجهول نظري تَصَوُّري أو تصديقي'' [٧].

''والفكر: إعمال العقل في المعلوم للوصول الى معرفة مجهول...''[٨].

و ''الفكر: ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول ذكره ابن الكمال [٩]. وقال الأكمل: الفكر

(١) لسان العرب-لابن منظور، مادة (فكر) (٦٥/٥).

(٢) العين-للخليل بن أحمد الفراهيدي/ مادة (فكر (٣٥٨/٥) (بتصرف).

(٣) جمهرة اللغة –لمحمد بن حسن الأزدي، مادة (رفك) (٧٨٦/٢).

(٤) مقاييس اللغة-لأحمد بن فارس، مادة (فكر) (٤٤٦/٤).

(٥) التعريفات-لعلي بن محمد الجرجاني، (ص١٦٨).

(٦) القاموس المحيط-للفيروز آبادي، (ص ٤٥٨).

(٧) دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون) -عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (باب الفاء مع الكاف)،(٣١/٣).

(٨) المعجم الوسيط-مجمع اللغة العربية بالقاهرة – إبراهيم مصطفى وآخرون، (٦٩٨/٢).

(٩) التعريفات-للجرجاني، (ص١٧٦).

حركة النفس من المطالب إلى الأوائل، والرجوع منها إليها, وقال العكبري: الفكر جولان الخاطر في النفس وقال الراغب [1] :الفكرُ قوةٌ مطرِقةٌ للعلم إلى المعلوم، والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان لا للحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب'' [2].

ويقول ابن فارس :'' (فكر) الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء'' [3].

ويقول الدكتور أحمد مختار :''فِكْر [مفرد] جمعه أفكار:

١. نشاط ذهني، إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول...

٢. نشاط أو إنتاج فكري لفترة أو مجموعة معينة...

٣. رأي، نظر ...''(٤).

معنى الفكرفي الاصطلاح.

وكما تعددت مفاهيم (الفكر) وتعريفاته في اللغة تعددت كذلك في الاصطلاح إلا أن كلا المفهومين: اللغوي والاصطلاحي على تعددهما يتفقان على أن (الفكر) عملية عقلية خاصة بالإنسان ملازمة له ضرورةً كأداة وحيدة لحل مشاكله المختلفة.

فعرفه طه جابر علوان بقوله :»الفكر اسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان، سواء أكان قلباً أو روحاً أو ذهناً بالنظر والتدبر لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة أو الوصول إلى الأحكام أو النسب بين الأشياء» [5].

وعرفه عبد الكريم بكار في أحد مقالاته بقوله :''هو إعمال الإنسان لإمكاناته العقلية في المحصول الثقافي المتوافر لديه بغية إيجاد بدائل أو حل مشكلات أو كشف العلاقات والنَّسب بن الأشياء'' [6].

(١) المفردات-للراغب الأصفهاني،(ص٣٨٤).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف-لمحمد بن تاج العارفين المناوي، (ص٢٦٣).

(٣) معجم مقاييس اللغة-لأحمد بن فارس، مادة (فكر) (٤٤٦/٤).

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة (فكر) (١٧٣٤/٣).

(٥) الأزمة الفكرية المعاصرة،(ص٢٧).

(٦) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي, (ص١٣).

وعرفه عزمي طه السيد بقوله :''إنه جملة من القضايا أو الآراء النظرية في مجال من مجالات المعرفة، تؤسس للعلم في هذا المجال كما تقوم ببعض وظائف العلم مثل (التفكير والتنبؤ)، وهذه الجملة من التفكير والآراء قابلة للتطور والتغيير، عاكسة في كل ما تقدم ذكره ظروفاً بيئيةً وفردية'' [1].

الفروق اللغوية بين المصطلحات المماثلة.

وعند النظر في تعريفات الفكر اللغوية والاصطلاحية يلاحظ أنها قد وردت بصيغ متعددة مثل: إعمال النظر، اعمال الخاطر، إعمال العقل.. فهل هذه الألفاظ الثلاثة: النظر، والخاطر، والعقل، ألفاظ مرادفة للفكر وأنها بمعنى واحد؟ أم أن هناك فرقاً ؟

والحقيقة أنها ليست مترادفه، بل هناك فرق:

-**فالنظر**: «يكون فكراً ويكون بديهة، والفكر ماعدا البديهة» [2].

وقيل :''النظر: طلب إدراك الشيء من جهة البصر أو الحركة.. أو الفكر.. وأصل النظر المقابلة، فالنظر بالبصر الإقبال نحو المبْصَر، والنظر بالقلب الإقبال بالفكر نحو المفَكَّر فيه ويكون النظر باللمس.. وإذا قرن بالقلب فهو الفكر في أحوال ما ينظر فيه، وإذا قرن بالبصر كان المراد به تقليب الحدقة نحو ما يلتمس رؤيته مع سلامة الحاسة'' [3].

وقيل: ''النظر: طلب المعنى بالقلب من جهة الذكر، كما يطلب إدراك المحسوس بالعين، ذكره الحوالي قال: وأولُ موقعِ العينِ على الصورةِ نظرٌ، ومعرفةُ خِبرتِها الحسيةِ بصرٌ، ونفوذه الى حقيقتها رؤيةٌ'' [4].

والخاطر :»ما يرد على القلب من الخطاب أو الوارد الذي لا عمل للعبد فيه»[5].

---

(١) الثقافة الإسلامية، مفهومها، مصادرها، خصائصها، مجالاتها-عزمي طه السيد وآخرون،(ص٥٠).

(٢) معجم الفروق اللغوية-أبو هلال العسكري-تحقيق/ بيت الله بيات، (ص ٥٤٤).

(٣) الفروق اللغوية-أبو هلال العسكري،(ص٧٤،٧٥) (بتصرف).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف-زين الدين محمد الحدادي،(ص٣٢٦).

(٥) التعريفات-على بن محمد الجرجاني، (ص٩٥).

وقيل :''الخاطر: اسم لما يتحرك في القلب من رأيٍ أو معنىً ثم سمي محله باسم ذلك'' [١].

وقيل: ''الخاطر: مرور معنىً بالقلب بمنزلةِ خطابِ مخاطبٍ يُحَدّث بضروب الأحاديث'' [٢].

والعقل :»هو العلم الأول الذي يزجر عن القبائح... وقال بعضهم: العقل الحفظ يقال: عقلت دراهمي أي حفظتها... وقيل: العقل يفيد معنى الحصر والحبس» [٣].

وقيل :''العقل: العلم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها.

سئل بعض الحكماء عن العقل فقال: هو العلم بخير الخيرين وشر الشرين ويطلق لأمور:

لقوةٍ بها يكون التمييز بين القبيح والحسن، ولمعان مجتمعه في الذهن تكون بمقدمات تستتب بها الأعراض والمصالح، ولهيئة محمودة للإنسان في حركاته وكلامه.

والحق أنه نور روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو إلى أن يكمل عند البلوغ.

والحق أنه نور في بدن الآدمي يضيء به طريقاً يُبْتَدَأ به من حيث ينتهي إليه درك الحواس، فيبدو به المطلوب للقلب، فيدرك القلب بتوفيق الله وهو كالشمس في الملكوت الظاهرة.

وقيل هو قوة للنفس به تستعد للعلوم والإدراكات'' [٤].

مفهوم البناء الفكري.

أما معنى البناء الفكري كمركب وصفي ومصطلح معاصر مكون من كلمتي (البناء والفكر) :

فقد عرفه حسان عبدالله حسان بقوله :»البناء الفكري هو عملية ومهمة ووظيفة؛ عملية يتحقق من ورائها امتلاك العقل المسلم تصوراً متكاملاً عن الكون والطبيعة والإنسان والخالق، يصدر من مرجعيته العليا المتجاوزة (المتجاوزة عن الخلق) التي يستطيع بها

(١) التوقيف على مهمات التعاريف-زين الدين محمد الحدادي، (ص١٥١).

(٢) معجم الفروق اللغوية-أبو هلال العسكري، (ص٢٠٩).

(٣) المرجع السابق، (ص ٣٦٦) (بتصرف).

(٤) الكليات- أيوب بن موسى الكفوي،(ص ٦١٨).

(أي بتلك الرؤية) تفسير الظواهر، وردها الى أسبابها ومسبِّباتها الحقيقية بواسطة هذا الميزان المتجاوز. وهذه العملية (عملية البناء الفكري) تتم خلال تراكمات-بوصفها بناءً- تتولد عنه قناعات تصدر عنها عن طريق هذه الرؤية (أو التصور الكلي عن الله والإنسان والكون)، التي تبدأ بالإجابة عن التساؤلات الكبرى، والخلق، والمصير، والخالق، والتكوين، والهَدَفِيَّة، وصولاً إلى التضمين في مناهج العلوم والمعارف، ومناهج التربية والاقتصاد والسياسة والاجتماع.

وبعبارة أخرى، يسعى البناء الفكري (وظيفة، ورسالة) إلى إعادة تصميم الذهنيات الإسلامية وفق منهج متكامل يتوافق مع الفطرة والعقل؛ منهج لا يعاني أزمات في داخله، ولا يسبب أزمات لواقعه، منهج يتسم بالشمول، والتوازن، والاتساع، والانفتاح، والتعقل» [1].

"ويمكن تعريف البناء الفكري بأنه: عملية تحصيل وتراكم المعرفة، والتفقه (بالتفكير والتأمل) في هذه المعرفة ليَنْتُجَ سلوكٌ وخبرةٌ تؤهله للتفاعل مع المحيط، وللبناء أدواتٌ تنقسم إلى ثلاثة اقسام:

تأسيسية مثل: التربية والعبادة والفطرة.

الأدوات المعرفية: كالقراءة والمناقشة والتجارب والاستماع والمشاهدة.

أدوات تطويرية: مثل التأليف والكتابة وإدارة المشاريع خاصة الفكرية منها والحوارات وإلقاء المحاضرات» [2].

❊ ❊ ❊

(١) مجلة إسلامية المعرفة-السنة الثانية والعشرون-العدد(٨٧)- شتاء ١٤٣٨هـ /٢٠١٧م.
موضوع/ قراءه في كتاب (البناء الفكري: مفهومه ومستوياته وخرائطه- تأليف فتحي حسن ملكاوي، (ص١٤١،١٤٠).

(٢) مجلة المنار الثقافية الدولية الإلكترونية- البناء الفكري وقبول الأفكار- خالد دربندي.

المبحث الأول
الأســاس العَقَـدي

ويشتمل على: مفهوم العقيدة، واهتمام القرآن بالعقيدة، وأهمية العقيدة في بناء الفكر، الأســاس العَقَـدي

مفهوم العقيــدة.

العقيدة في اللغة: مشتقة من الفعل (عقد) وهو الشد والربط والإيثاق والثبوت [١].

يقول ابن فارس '' (عقد) العين، والقاف، والدال، أصل واحد يدل على شدّ وشدّة وثوق, وإليه ترجع فروع الباب كلها'' [٢].

و ''عقَد الحبل، والبيع، والعهد، يعقِده: شدهُ'' [٣].

و ''اعتقد الشيء: اشتد وصلب، يقال: اعتقد الإخاء بينهما: صدق وثبت، وعقد فلان الأمر: صدّقه وعقد عليه قلبه وضميره''[٤].

و «العقيدة: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده» [٥].

العقيدة في الاصطلاح : هي''الإيمان الجازم بالله وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره'' [٦]

(١) أنظر: لسان العرب-محمد بن مكرم بن منظور (٢٩٦/٣).
(٢) معجم مقاييس اللغة (٨٦/٤).
(٣) القاموس المحيط–محمد يعقوب الفيروز آبادي،(ص٣٠٠).
(٤) المعجم الوسيط-إبراهيم مصطفى، وآخرون، (٦١٤/٢).
(٥) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً-د/ سعدي أبو حبيب (ص٢٥٦).
(٦) بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة-د/ناصر بن عبد الكريم العقل، (ص٦).

محورية الأساس العَقَدي.

ليست العقيدة أساساً-فقط-للبناء الفكري؛ بل هي أساس للبناء الشمولي للفرد وللجماعة.

فهي أساس للبناء الروحي، والبناء العقلي والعلمي والبناء النفسي والعاطفي، والبناء الاجتماعي والقيمي...الخ

فهي محور كل بناء وأساسه وهي لكل بناء بمثابة القطب للرحى، والعمود للخيمة، لا يقوم أي بناء إلا على أساسها ولا يستمر إن قام بدونها.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في كثير من آياته مبيناً:

-أن العقيدة أساس الحياة: قال تعالى :(وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) الذاريات:٥٦

- وأن العقيدة أساس الدين: قال تعالى :(قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ) الأنعام: ١٦٢،١٦٣

- وأن العقيدة أساس العبادة: قال تعالى :(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) الفاتحة: ٥، وقال صلى الله عليه وسلم :"إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله..." [1].- وأن العقيدة أساس العمل صحةً وقبولاً: قال تعالى :(وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا) الفرقان :٢٣، وقال تعالى :(وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا...) النور :٣٩

وقال صلى الله عليه وسلم :"إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له وابتغي به وجه" [2]، وقال صلى الله عليه وسلم :"أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري

(١) أخرجه الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، رقم (٢٥١٦) (٧٦٧/٤)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) ذكره الحسن بن أحمد الصنعاني في فتح الغفار من حديث أبي أمامه الباهلي، رقم (٥١٢٩) (١٧٤٣/٤)، وقال: رواه أحمد النسائي. وذكره صهيب عبد الجبار في الجامع الصحيح سنن والمسانيد (٣١٣/٤).

تركته وشركه" [1].

- وأن العقيدة أساس التشريع: قال تعالى :(وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ) ال عمران :١٣٢

- وأن العقيدة أساس الحكم :قال تعالى :(إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ) يوسف :٤٠

وأن العقيدة أساس طلب العلم وتحصيله: قال تعالى :(ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ . ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ . ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ . عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ) العلق :١-٥، وقال تعالى :(...وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيم) البقرة :٢٨٢ .

- وأن العقيدة أولاً وآخراً أساس الدين والدنيا والآخرة، فهي أساس الصلاح في الدنيا وأساس الفلاح في الآخرة، قال صلى الله عليه وسلم :"يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا" [2]، وقالصلى الله عليه وسلم :"من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة" [3]

اهتمام القرآن بالعقيدة

ولأهمية العقيدة في البناء الشمولي للفرد والمجتمع والتحصين الفكري لهما اهتم القرآن بها اهتماماً بالغاً وعرضها عرضاً موسَّعاً ومتنوعاً ابتداءً بإعلان العبودية لله [4] وانتهاءً بالاستعاذة بالله [5] عبر منهج رباني جمع بين أسلوبي الإجمال والتفصيل، والنظري والعملي وبطريقة مزدوجة غاية في الإيضاح والبيان.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رقم(٢٩٨٥) (٢٢٨٩/٤). تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى من حديث طارق بن عبدالله المحاربي، رقم (٣٥٨) (١٢٣/١).

(٣) أخرجه أبو داوود في السنن من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، رقم (٣١١٦) (١٩٠/٣).

(٤) إشارة الى قوله تعالى :(إياك نعبد وإياك نستعين) الفاتحة :٥.

(٥) إشارة إلى قوله تعالى :(قل اعوذ برب الناس...) السورة.

ففي الوقت الذي يدعو فيه إلى توحيد الله ينهى عن الشرك به، وفي الوقت الذي يأمر بعبادة الله يحرم عبادة غيره, وهكذا...

١- دعوة القرآن إلى التوحيد نظرياً.

فمن الآيات التي تدعو إلى توحيد الله نظرياً وإجمالياً: قوله تعالى :(وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ) الأنبياء :٢٥، وقوله تعالى :(قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ) الرعد :٣٠

-وقوله تعالى :(يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ) النحل :٢، وقوله تعالى :(إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡما) طه :٩٨، وقوله تعالى :(فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ) محمد :١٩.

والآيات التي وردت بكملة التوحيد بصيغها المختلفة كثيرة، وقد حصرها الشيخ عبدالرحمن بن قاسم الحنبلي في سبع وثلاثين موضعاً، فقال :»وجاءت كلمة (لا إله إلا الله) في سبع وثلاثين موضعاً من القرآن» [(١)].

وكثرة ورودها يدل على أهميتها باعتبارها أصل العقيدة، وأساس الإسلام كما قال صلى الله عليه وسلم :''بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان'' [(٢)].

ويؤكد دعوة القرآن هذه قوله صلى الله عليه وسلم :''أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم إلا بحق الإسلام،

(١) حاشية الروض المربع (٢٣/١) -حاشية (٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، رقم (٨) (١١/١).

وحسابهم على الله" [1]،وقوله صلى الله عليه وسلم :"يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا" [2].

٢- دعوة القرآن إلى التوحيد عملياً.

وتتمثل في مسارين:

المسار الأول: الأمر بعبادة الله، والنهي عن عبادة غيره.

أ- الأمر بعبـادة الله: وقد ورد الأمر بعبادة الله في القرآن بأسلوبين:

أحدهما: الأسلوب الإجمالي: وقد ورد الأمر بعبادة الله بهذا الأسلوب الإجمالي في كثير من الآيات منها: قوله تعالى :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ البقرة :٢١، وقوله تعالى :﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ النساء :٣٦، وقوله تعالى :﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ الحجر :٩٩، وقوله تعالى :﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ الأنبياء :٩٢.

والأمر بعبادة الله رسالة كل الأنبياء إلى أقوامهم, قال تعالى :﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ الأنبياء: ٢٥.

ثانيهما: الأسلوب التفصيلي: وكما أمر الله سبحانه وتعالى بعبادته إجمالاً أمر بعبادته تفصيلاً:

فأمر بإقامة الصلاة. قال تعالى :﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ البقرة :٤٣.

وأمر بإيتاء الزكاة. :﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ البقرة :١١٠.

وأمر بالحج: قال تعالى :﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾ البقرة :١٩٦وقال تعالى :﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ ال عمران :٩٧.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، رقم (٢٥) (١٤/١).

(٢) انظر حاشية (١)(ص)١٣.

وأمر بذكره سبحانه وتعالى. قال تعالى :(وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ) ال عمران :٤١.

وأمر بفعل الخير عموماً: قال:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) الحج :٧٧.

ب- النهي عن عبادة غير الله: وقد ورد النهي عن عبادة غير الله سبحانه وتعالى بأسلوبين أيضاً:

أحدهما: الأسلوب الإجمالي: وقد ورد النهي عن عبادة غير الله بهذا الأسلوب الإجمالي في كثير من الآيات منها: قوله تعالى :(وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ) الإسراء :٢٣، وقوله تعالى :(قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ) الأنعام :٥٦، وقوله تعالى :(إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ) فصلت :١٤.

ثانيهما: الأسلوب التفصيلي: وكما نهى الله سبحان وتعالى عن عبادة غيره اجمالاً نهى عن عبادة غيره تفصيلاً: فنهى عن عبادة الشيطان. قال تعالى :(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوّ مُّبِين) يس :٦٠.

ونهى عن عبادة التماثيل في قصة إبراهيم عليه السلام. قال تعالى :(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ . قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ) الأنبياء :٥١-٥٣، ثم قال بعد محاجتهم :(أُفّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) الأنبياء: ٦٧

ونهى عن عبادة الأوثان. قال تعالى على لسان إبراهيم :(وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْر لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) العنكبوت :١٦،١٧

ونهى عن عبادة الأصنام. قال تعالى على لسان إبراهيم :(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ . قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَاما فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ . قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ . أَوْ يَنفَعُونَكُمْ

أَوۡ يَضُرُّونَ . قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ . قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ . أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ . فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) الشعراء :٧٠-٧٧

ونهى عن عبادة عيسى وأمه عليهما السلام. قال تعالى :(وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ) المائدة :١١٦

ونهى عن عبادة الأحبار والرهبان وأصحاب الرأي. قال تعالى :(وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ . ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ) التوبة :٣٠،٣١

ونهى عن عبادة الهوى. قال تعالى :(أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) الجاثية :٢٣

المسار الثاني: النهي عن الشـــرك بالله.

والآيات التي وردت بالنهي عن الشرك بالله كثيرة منها: قوله تعالى :(وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا) الحج :٢٦، وقوله تعالى :(وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ) النساء :٣٦، وقوله تعالى :(وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ) لقمان :١٣، وقوله تعالى :(فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا) الكهف :١١٠، وقوله تعالى :(وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا) الجن :١٨

أهميَّـــة العقيدة في بنـــاء الفكر

من خلال الحديث السابق عن محورية العقيدة في بناء الشخصية الإسلامية بناء شمولياً، وعن اهتمام القرآن بالعقيدة على النحو الذي تم عرضه يتضح بجلاء أهمية العقيدة في بناء المسلم بناء شمولياً

وبنائه بناء فكرياً على وجه الخصوص.

فالعقيدة التي ظل المصطفى صلى الله عليه وسلم يدعو إليها ثلاث عشرة سنة [1] في مكة المكرمة، أي أكثر من نصف عمر الدعوة الإسلامية والرسول يدعو الناس في مكة المكرمة إلى العقيدة الى التوحيد إلى كلمة التوحيد وأساس العقيدة إلى (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .. هذه العقيدة التي استغرقت كلمتها تبليغاً وعنوانها ترسيخاً ثلاث عشرة سنة من عمر الدعوة والداعية لا يمكن أن تكون كلمة عابرة تقف عند حدود نطق اللسان بها ولا تتجاوزه إلى خارجها، ولو كانت كذلك ما ترددت قريش عن قولها ولا خاف المشركون من إطلاقها ولكن قريشاً كانت تدرك حقيقة هذه الكلمة وما وراءها وما ستحدثه من انقلاب وتحول شمولي في حياتها: العقدية والروحية والعقلية والاجتماعية والاقتصادية... وغيرها

ولهذا عارضت قريش هذه الدعوة ورفضت قول هذه الكلمة التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوهم-فقط-لقولها والنطق بها فيقول لهم :"قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا"، فلم يقولوها واستماتوا في رفضها ومحاربتها لأنهم كانوا يدركون تبعاتها وما يترتب عليها من التخلي والتحلي وإعادة صياغتهم وبناء شخصياتهم وتربيتهم على ضوئها والتحلي بكل ما تقتضيه والتخلي عن كل ما يتعارض معها.. فكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ليست قضية لفظية تنتهي عند حدود النطق بها ومفارقة اللسان لها

بل هي منهج حياة شامل كامل ينظم علاقة المسلم: بربه، وعلاقته بدينه, وعلاقته بنفسه، وعلاقته بمجتمعه، وعلاقته بحاكمه وولي امره، وعلاقته بغير المسلمين...وغير ذلك.. وهذه العلاقات -كما ترى- مجالات عقلية وفكرية، وتنظيمها وترشيدها تحصينٌ للفكر من الانحراف في فهمها والتعامل معها، وما الحياة كلها إلا مجموعة من المفاهيم الفكرية العلاقاتية.

مظاهر أهمية العقيدة في بناء الفكر.

وبالإضافة إلى ذلك يمكن إبراز أهمية العقيدة في المظاهر الآتية:

---

(١) أنظر: السيرة النبوية لابن كثير (٣٨٩/١)، ودلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٣٩).

١- العقيدة ولاء وبراء: أي ولاء للمؤمنين، وبراء من الكافرين، حبٌ في الله وبغض في الله، قال تعالى :﴿لَّا تَجِدُ قَوْما يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ المجادلة: ٢٢

- **ففي الآية ثلاث إشارات:**

الأولـــى :الإشارة إلى أن العقيدة عاصمة فكرية من الولاءات الضيقة: النَّسَبِيَّة، والقبلية, والطائفية, والعنصرية, والسلالية, والقومية... وغيرها، فـ»إن أهل الإيمان الكامل لا يوادون من فيه معنىً من محادة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بخرق سياج شريعته عمدًا والاستخفاف بحرمات الإسلام، وهو مثل أهل الظلم والعدوان في الأعمال من كل ما يؤذن بقلة اكتراث مرتكبه بالدين وينبئ عن ضعف احترامه للدين مثل المتجاهرين بالكبائر والفواحش الساخرين من الزواجر والمواعظ، ومثل أهل الزيغ والضلال في الاعتقاد ممن يؤذن حالهم بالإعراض عن أدلة الاعتقاد الحق، وإيثار الهوى النفسي والعصبية على أدلة الاعتقاد الإسلامي الحق"[١].

الثـــانية :الإشارة إلى أن العقيدة تمنع من موادة الكفار وموالاتهم.

يقول ابن عطية عند تفسيره للآية :»نفت هذه الآية أن يوجد من يؤمن بالله تعالى حق الإيمان ويلتزم شُعبَه على الكمال يواد كافراً أو منافقاً « [٢].

ويقول الزمخشري :"من الممتنع المحال أن تجد قوماً مؤمنين يوالون المشركين، والغرض به أنه لا ينبغي أن يكون ذلك، وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال، مبالغة في النهى عنه والزجر عن ملابسته، والتوصية بالتصلب في مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم" [٣].

---

(١) التحرير والتنوير- محمد الطاهر بن عاشور (٢٨/ ٥٩، ٦٠).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢٨٢/٥).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤٩٧/٤).

الثالثـــــة: الإشارة إلى أن العقيدة ترشيد للعواطف.

فتجعل الحب في الله والبغض في الله ، كما تشير إلى ذلك الآية الكريمة.

يقول ابن كثير في تفسير الآية :» أي: لا يوادون المحادين ولو كانوا من الأقربين، كما قال تعالى :(لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ...) ال عمران :٢٨، وقال تعالى :(قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ) التوبة ٢٤ [١]

وقال صلى الله عليه وسلم :"إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله" [٢]، وقال صلى الله عليه وسلم :"من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان" [٣].

٢- العقيدة صياغة فكرية شاملة:

فعلى أساس العقيدة -كما قلنا- يتم بناء المسلم بناء شمولياً:

ففي ضوء العقيدة وعلى أساسها تبنى رؤاه، وتصوراته عن الله والكون، والإنسان، والحياة، والموت، والدنيا والآخرة.

فالمسلم يعلم أن الله هو الخالق المعبود لا إله إلا هو، والمسلم يعلم أن الكون مخلوق لله وأن كل مخلوق فان، **والمسلم يعلم** أن الإنسان مخلوق مكرم ومستخلف في الأرض، خلقه الله لعبادته، **والمسلم يعلم** أن الحياة وجود مؤقت، فهي دار ممر وليست دار مقر، وأنها مزرعة للآخرة، **والمسلم يعلم** أن الموت حق على كل حي، قال تعالى :(كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ) ال عمران :١٨٥، **والمسلم يعلم** أن الدنيا دار ابتلاء وعمل ولهو ولعب وزينة وتفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد وأنها

(١) تفسير القرآن العظيم (٥٤/٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، رقم (١٨٥٢٤) (٤٨٨/٣٠).

(٣) أخرجه أبو داود في السنن من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، رقم (٤٦٨١) (٢٢٠/٤).

لا تزن عند الله جناح بعوضة، والمسلم يعلم أن الآخرة دار جزاء وخلود وبقاء...وهكذا.

٣- العقيدة تنظيم شامل لعلاقات المسلم.

ففي ضوء العقيدة وعلى أساسها تبنى علاقة المسلم: بنفسه، وربه، ودينه، ومجتمعه، ووالديه، وأولاده، وولي أمره، و علاقته بالمال، والكون والحياة، والمسلم وغير المسلم وحتى الجن والملائكة... وغير ذلك من مفردات ما يمكن أن نسميه ب (منظومة فكر العلاقات)، وهي-كما ترى- منظومة فكرية واسعة وشاملة تعمل على بناء المسلم بناء فكرياً شمولياً واسعاً. وتناولها بالتفصيل يحتاج إلى مجلدات وسنوات؛ ولهذا اكتفي بهذه الإشارة المجملة الموجزة.

فالمسلم يعلم أن نفسه ليست ملكاً له يتصرف فيها كيف يشاء وإنما هي ملك لله يجب الاهتمام بها والمحافظة عليها، ولا يجوز قتلها وإتلافها ولا الإضرار بها.

والمسلم يعلم أن الله خالقه ورازقه ومحييه ومميته وإلهه ومعبوده وحده لا شريك له ومحاسبه على كل صغيرة وكبيرة.

والمسلم يعلم أن دينه الإسلام ارتضاه الله له وأرسل به رسوله محمدا **صلى الله عليه وسلم**، وأنزل عليه كتابه وأمره بطاعته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه وأداء فرائضه، والوقوف عند حدوده، وأنه صالح لكل زمان ومكان، وأنه عامّ وشامل. قال تعالى :(مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ) الأنعام :٣٨، وقال تعالى :(وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ) النحل :٨٩.

والمسلم يعلم أن مجتمعه مجتمع إسلامي متكافل متعاون متراحم متناصح متآمر بالمعروف متناه عن المنكر «كمثل الجسد إذا اشتكى عضوٌ منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسَّهر» [(١)].

والمسلم يعلم أن الوالدين سببٌ في وجود الولد وأن برهما من أوجب الواجبات وعقوقهما من أكبر الكبائر، وأن برهما والإحسان إليهما وخاصة عند الكبر، كما قال تعالى :(وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من حديث النعمان بن بشير، رقم (١٠٦٢٧) (٤٦٧/١٣).

لَّهُمَآ أُفّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلا كَرِيما . وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرا) الإسراء: ٢٣،٢٤. من الأعمال الموصلة إلى الجنة والمنجية من النار، قال **صلى الله عليه وسلم** :"رغم أنفٌ، ثم رغم أنفٌ، ثم رغم أنفٌ، قيل: من يا رسول الله، قال: من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة" (١).

والمسلم يعلم ان الأولاد نعمة وقرة عين، وزينة، وفتنة، وأمانة ومسؤولية تجب المحافظة عليهم وحسن تربيتهم، والنجاة بهم من النار، قال تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) التحريم :٦، وقال **صلى الله عليه وسلم** :"كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع ومسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع ومسؤول عن رعيته" (٢).

والمسلم يعلم أن طاعة ولي الأمر واجبة، قال تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ) النساء: ٥٩، وقال صلى الله عليه وسلم :"اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشيٌ كأن رأسه زبيبة" (٣).

وهكذا... فإن المسلم على علم بكل وجوه علاقاته المختلفة على أساس من عقيدته المنظمة لتلك العلاقات والموجهة لها.

٤- العقيدة ترسيخ للأخلاق وبناء للقيم.

ففي ضوء العقيدة وعلى أساسها ترسخ الأخلاق الحميدة وتبنى القيم النبيلة، فإنها مرتبطة بها ارتباط البناء بالأساس، ولهذا علل المصطفى صلى الله عليه وسلم بعثته بها فقال :"إنما بعثت لأتمم

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رقم (٢٥٥١) (١٩٧٨/٤).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر، رقم (٢٦٠٠) (١٠١٠/٣).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك، رقم (٧١٤٢) (٦٢/٩).

مكارم الأخلاق" [1].

والأخلاق جزء من الإيمان بالله، وثمرة من ثمار العقيدة والعلاقة بينهما مطردة، فكلما قوي الإيمان وصحت العقيدة حسنت الأخلاق والعكس صحيح.

فالإيمان هو الذي يحمل المؤمن على التمسك بالأخلاق الحميدة واجتناب الأخلاق الذميمة، وقد ربط الله منظومة الأخلاق بالإيمان، فما من خلق حميد حسن إلا والإيمان هو الباعث على فعله، وما من خلق ذميم قبيح إلا والإيمان هو الباعث على تركه, وهذه أمثلة موجزة تؤكد حقيقة هذا الترابط والتلازم بين الإيمان والأخلاق:

فالإيمان هو الباعث على الإحسان إلى القريب واليتيم والمسكين والوفاء بالعهد، والصبر على المصائب: قال تعالى :(لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ) البقرة :١٧٧

والإيمان هو الباعث على العدل.

قال تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ) المائدة :٨

والإيمان هو الباعث على الصدق: قال تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ) التوبة :١١٩

والإيمان هو الباعث على الكرم: قال صلى الله عليه وسلم :(من كان يؤمن بالله واليوم الأخر

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رقم (٢٠٧٨٢)(٣٢٣/١٠)

فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليكرم ضيفة جائزته) [1].

والإيمان هو الباعث على ترك السخرية والتنابز بالألقاب: قال تعالى :(لَا يَسْخَرْ قَوْم مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآء مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ) الحجرات :١١.

الإيمان هو الباعث على ترك سوء الظن والتجسس والغيبة والنميمة: قال تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْم ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّاب رَّحِيم) الحجرات :١٢

والإيمان هو الباعث على ترك السب والفحش والبذاءة: قال صلى الله عليه وسلم :"ليس المؤمن بالطعان، ولا اللَّعان ولا الفاحش ولا البذيء" [2].

والإيمان هو الباعث على ترك الكذب: فقد روى عن صفوان بن سليم أنه قال :قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم :أيكون المؤمن جباناً؟ فقال: نعم، فقيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ فقال: نعم، فقيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ فقال: لا" [3]...وهكذا

٥- العقيدة حماية من الشبهات ووقاية من الشهوات.

إن العقيدة خط الدفاع الأول في حماية المسلم من الشبهات ووقايته من الشهوات فإن ايمانه بالله يزيل عنه غشاوة الشبهات ويطفئ فيه نيران الشهوات، ولا يسقط في ظلمات الشبهات، ويحترق بنار الشهوات إلا ضعيف الإيمان فاسد العقيدة, أما المؤمن فمحفوظ من فتنتي الشهوات والشبهات.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي شريح العدوي، رقم (٦٠١٩) (١١/٨).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، رقم (٣١٢)، (ص ١١٦).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ، رقم (١٩) (٩٩٠/٢).

فالإيمان يمنع من اتباع الشبهات: قال تعالى :(هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ) ال عمران: ٧،٨ ، فإذا كان هذا هو حال المؤمن (رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا) فمحال أن يسقط في ظلمات الشبهات، وقال تعالى(وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ) العنكبوت: ٦٩

والايمان يقي من الوقوع في الشهوات: قال تعالى :(وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ) التوبة :٧١

وقال صلى الله عليه وسلم :"لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة [1] يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن" [2].

٦- العقيدة إجابة على كل سؤال وحل لكل إشكال: قال تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا) النساء :٥٩، وقال تعالى :(وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ) النحل :٨٩

(١) نهبةً: بضم النون مالًا منهوباً جهراً قهراً ظلماً لغيره، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري-أحمد بن محمد القسطلاني (٤٤٨/٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رقم (٦٧٧٢) (١٥٧/٨).

٧- العقيدة تحرير من العبودية وتحقيق للحرية: قال تعالى :(فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ) محمد : ١٩

في الآية ثلاث دعوات:

الأولى: الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له. **الثانية**: الدعوة إلى التحرر من عبادة غير الله. **الثالثة**: الدعوة إلى القيام بذلك عن علمٍ ودراية لغلق باب العودة إلى الشرك، فإن من عبد الله على علم استحالت عودته إلى الشرك أو الوقوع فيه، وتحرر منه وإلى الأبد، كما قال صلى الله عليه وسلم:''وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار'' [1] ومعنى (لا إله إلا الله) أي: لا معبود بحق إلا الله وحده. فمن رسخت هذه الحقيقة في قلبه هتف من أعماقه هتافات الحرية والعبودية الخالدة:

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) الفاتحة :٥

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ) الأنعام :١٦٢،١٦٣

(إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) الأنعام :٧٩

٨- العقيدة حصانة فكرية.

يتضح من العرض السابق لأهمية الأساس العقدي في البناء الفكري أن العقيدة حصانة فكرية شاملة.

فإذا كانت العقيدة كما سبق الحديث عنها في أهمية الأساس العقدي في البناء الفكري: ولاء وبراء، وصياغة فكرية شاملة

وتنظيم شامل لعلاقات المسلم ، وترسيخ للأخلاق، وبناء للقيم، وحماية من الشبهات، ووقاية من الشهوات، وإجابة على كل سؤال، وحل لكل إشكال ، وتحرير من العبودية، وتحقيق للحرية

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه، رقم (٤٣) (٦٦/١).

فإن هذا يدل على أن العقيدة حصانة حصينة ومناعة منيعة لفكر المسلم من اختراق الفيروسات الفكرية الدخيلة ووقايةِ الفكر والعقل من كل ما يخل بهما من الآراء الشاذة والأفكار الفاسدة المناقضة لمنهج أهل السنة والجماعة في التلقي والاستدلال وهذا ما يشير إليه المولى سبحانه وتعالى في كثير من الآيات التي تدل على وظيفة الحصانة الفكرية للعقيدة، منها: قوله تعالى :(فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ) البقرة :٢٥٦، وقوله تعالى :(وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيم) التغابن :١١، وقوله تعالى :(فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسا وَلَا رَهَقا) الجن :٣، وقوله تعالى :(وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ) العنكبوت :٦٩، وقوله تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانا) الأنفال :٢٩، وقال تعالى :(وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجا) الطلاق :٢ .

❊ ❊ ❊

المبحث الثاني
الأســاس العلمــي

ويشتمل على: مفهوم العلم. واهتمام القرآن بالعلم. وأهمية العلم في بناء الفكر.

مفهــوم العلم.

العلم لغةً :» اليقين يقال علم يعلم إذا تيقَّن وجاء بمعنى المعرفة أيضاً ضُمِّن كل واحد معنى الآخرة لاشتراكهما في كون كل واحد مسبوقاً بالجهل، لأن العلم وإن حصل عن كسب فذلك الكسب مسبوق بالجهل. وفي التنزيل (مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ) المائدة :٨٣ أي علموا، وقال تعالى :(لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ) الأنفال :٦٠، أي: لا تعرفونهم الله يعرفهم'' [١]. ''والعلم: ضد الجهل، رجل عالم من قوم علماء وعالمين'' [٢].

والعلم في الاصطلاح :»هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع.. وقيل :العلم هو إدراك الشيء على ماهو به، وقيل: زوال الخفاء من المعلوم، والجهل نقيضه... وقيل: العلم صفة راسخة تذرك بها الكليات والجزئيات» [٣].

و ''العلم: الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع، إذ هو صفة توجب تمييزاً لا يحتمل النقيض، أو هو حصول صورة الشيء في العقل والأول أخص'' [٤].

وقال الراغب :''العلم: إدراك الشيء بحقيقته، وذلك ضربان:

أحدهما: إدراك ذات الشيء.

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير-أحمد بن محمد الفيومي الحموي، (٤٢٧/٢).

(٢) جمهرة اللغة-محمد بن الحسن بن دريد الأسدي، (٩٤٨/٢).

(٣) كتاب التعريفات-علي بن محمد بن علي الجرجاني، (ص١٥٥).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد الحدادي، (ص٢٤٦).

والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه.

فالأول: هو المتعدي إلى مفعول واحد نحو قوله تعالى :﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ الأنفال :٦٠

والثاني: المتعدي إلى مفعولين نحو قوله تعالى :﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾" [1] الممتحنة :١٠

اهتمـــام القرآن بالعـــلم

لا ينشأ الفكر ولا يتشكل إلا بالعلم، ولا يُحمى ويُحفظ إلا بالعلم، ولهذا اهتم القرآن الكريم بالعلم اهتماماً لا نظير له إظهاراً لأهميته في بناء العقل وحماية الفكر، وعمارة الحياة وصلاح الدنيا وفلاح الآخرة منذ اللحظة الأولى لنزوله وفي أول ما نزل منه على الإطلاق وبصيغة تلفت النظر وتجذب الانتباه وتسترعي الاهتمام وتجعل بناء الفكر على أساس العلم أمراً تكليفياً وليس عملاً اختيارياً بصيغة الأمر التي صدَّر الله بها هذا الاهتمام في قوله :﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ . ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ . ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ . عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾العلق :١-٥

- **مظاهر اهتمام القرآن بالعلم.**

ويبرز هذا الاهتمام في كثيرٍ من المظاهر منها:

١- الأمر بالقراءة: قال تعالى :﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ . ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ . ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ . عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ العلق :١-٥

ففي هذه الآيات ثلاث دلالات:

الأولى: الدلالة على أهمية القراءة في تحصيل العلم واكتساب المعرفة.

الثانية: الدلالة على أهمية العلم في بناء العقل والفكر وتحصينهما.

الثالثة: الدلالة على أن القراءة باسم الله فاتحة الرسالة وعنوان الإسلام وشعاره الأبرز.

٢- **الأمر بالكتابة**: فإنها من أهم الوسائل لتوثيق الفكر الصحيح ونشره، والتصدي للفكر

(١) المفردات في غريب القرآن، (ص٥٨٠).

الفاسد ودحره، فهي وسيلة مزدوجة لنشر الفكر الصحيح والفكر الفاسد «ولا يفل الحديد إلا الحديد» [1] ،فلا يمكن التصدي لما يكتب من الأباطيل والأفكار المنحرفة التي تستهدف الناشئة إلا بالوسيلة نفسها، بكتابة الفكر الصحيح والرد على الفكر المنحرف وإثبات بطلانه نقلاً وعقلاً ، ولهذا أمر الله بالكتابة فقال :(ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ) العلق :٤، وقال :(نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ) القلم :١..

فإنه يفهم من الإخبار عن القلم–الذي هو أداة الكتابة–الأمر بالكتابة التي تعد توأم القراءة التي أمر الله بها صراحة فقال :(اقرأ باسم ربك الذي خلق)، والأمر بالقراءة أمر بالكتابة.. وهذا ما فهمه الرسول صلى الله عليه وسلم عندما عفى عن أسرى بدر ''وقبل منهم الفداء وكان يفادي بهم على قدر أموالهم.. وكان من بين الأسرى من لم يكن له فداء، فجعل رسول صلى الله عليه وسلم فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، فيعلم كل واحد عشرة من المسلمين الكتابة. وكان زيد بن ثابت ممن تعلم بهذا الطريق'' [2]. ويؤكد هذا المفهوم قوله صلى الله عليه وسلم :''قيدوا العلم بالكتابة'' [3].

٣– الأمر بالتعلم: فهناك الكثير من الآيات القرآنية التي تتضمن الأمر بالعلم مقرونا بموضوعات تجب على الناس معرفتها يعلمهم الله إياها ويطالبهم بالتعرف عليها بطريق العلم، منها: قوله تعالى :(فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ) محمد :١٩، وقوله تعالى :(وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ) الأنفال :٢٨ ، وقوله تعالى :(ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ) الحديد :٢٠، وقوله تعالى :(وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ...) الانفال :٤١ ...

---

(١) أنظر: الأمثال –القاسم بن سلام البغدادي، (ص٩٧)، وجمهرة الأمثال-أبو هلال العسكري (٣٤٦/١).

(٢) السيرة النبوية-علي أبو الحسن الندوي، (ص٣١٤) (بتصرف)، وانظر: سيرة ابن كثير، (٥١٢/٢)، ومسند الإمام أحمد، رقم (٢٢١٦) (٩٢/٤).

(٣) مسند الشهاب-محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي ،المصري، رقم (٦٣٧) (٣٧٠/١).

وغير ذلك من الآيات

٤- الحض على طلب العلم: قال تعالى :(ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ . ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ . ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ . عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ) العلق :١-٥، وقال تعالى :(وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡما) طه :١١٤، وقال تعالى :(فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ) النحل :٤٣، وقال تعالى :(وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡر مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلا) النساء :٨٣، «فالآية عتاب للمؤمنين في هذا التسرع بالإذاعة، وأمرهم بإنهاء الأخبار إلى الرسول وقادة الصحابة ليضعوه مواضعه ويعلموهم محامله» (١)

٥- الإشادة بالعلم والعلماء وطلاب العلم: قال تعالى :(يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ) المجادلة :١١، وقال تعالى :(إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ) فاطر :٢٨، قال تعالى :(قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ) الزمر:٩، وقال تعالى :(شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ) ال عمران :١٨

٦- النهي عن القول بغير علم: قال تعالى :(وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولا) الإسراء :٣٦، وقال تعالى :(وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰل وَهَٰذَا حَرَام لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ) النحل :١١٦، وقال تعالى :(يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ) النساء :١٧١، وقال تعالى :(قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ) يونس :٦٩ ، وقال تعالى :(هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ

(١) التحرير و التنوير-محمد الطاهر بن عاشور (١٤٠/٥).

فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡم فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡم وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ) ال عمران :٦٦.

٧- التنديد بالجهل والجاهلين: قال تعالى :(خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ) الأعراف :١٩٩، وقال تعالى :(وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰما) الفرقان :٦٣ ، وقال تعالى :(وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ) القصص :٥٥، وقال تعالى :(وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰما) النساء :٥، وقال تعالى :(فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ) البقرة :٢٨٢، وقال تعالى :(قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡم وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ) الأنعام :١٤٠

٨- التنديد بالقول بغير علم: قال تعالى :(فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ) الأنعام :١٤٤، وقال تعالى :(وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدا . مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡم وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَة تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبا) الكهف :٤،٥، وقال تعالى :(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡم وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰن مَّرِيد . كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ) الحج :٣،٤ ، وقال تعالى :(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡم وَلَا هُدى وَلَا كِتَٰب مُّنِيرِ) الحج:٨، وقال تعالى :(وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۡۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ) الزخرف :٢٠

٩- النهي عن اتباع الهوى: قال تعالى :(فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا) النساء: ١٣٥، وقال تعالى :(يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَة فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ) ص :٢٦، وقال تعالى :(ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَة مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ

لَا يَعْلَمُونَ) الجاثية :١٨، وقال تعالى :(وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْم قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ) المائدة :٧٧، وقال تعالى :(فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ) المائدة :٤٨

١٠- محاربة التقليد الأعمى: وهو من أخطر الآفات والملوثات العقلية والأمراض والفيروسات الفكرية التي جاء الإسلام لمحاربتها وإنقاذ الناس من شرها، وتحريرهم من عبوديتها ووقايتهم من أمراضها.

والتقليد الأعمى :أن تغمض عينك وتتبع غيرك، وأن تلغي عقلك وتغلِّب جهلك وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في كثير من آياته منها: قوله تعالى :(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ) البقرة:١٧٠، وقوله تعالى :(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ) المائدة:١٠٤ ، وقوله تعالى :(أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ . بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّة وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ . وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَة مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّة وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ) الزخرف :٢١-٢٢.. وغيرها من الآيات.

- **فضـــل العلم وأهلـــه**

قبل الكلام و الشروع في بيان أهمية العلم لابد من الكلام عن فضله، فإنه يمثل مظهراً بارزاً من مظاهر أهمية العلم في بناء الفكر وحمايته. وقد ورد في فضل العلم الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية:

أما الآيات فمنها: كل ما سبق إيراده من الآيات في مبحث اهتمام القرآن بالعلم مثل: قوله تعالى : (شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) ال عمران :١٨.

قال ابن القيم بعد ذكر هذه الآية :»هذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه: **أحدها**: استشهادهم دون غيرهم من البشر، **والثاني**: اقتران شهادتهم بشهادته، **والثالث**: اقترانها بشهادة ملائكته، **الرابع**: أن في ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم، فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول ومنه الأثر المعروف عن النبيصلى الله عليه وسلم :"يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين"... [1]. **الخامس**: أنه وصفهم بكونهم أولي العلم، وهذا يدل على اختصاصهم به وأنه أهله وأصحابه، ليس بمستعار لهم. **السادس**: أنه سبحانه وتعالى استشهد بنفسه وهو أجل شاهد، ثم بخيار خلقه وهم ملائكته والعلماء من عباده، ويكفيهم بهذا فضلاً وشرفاً. **السابع**: أنه استشهد بهم على أجل مشهود وأعظمه وأكبره، وهو شهادة أن لا إله إلا هو، والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم. **الثامن**: أنه سبحانه وتعالى جعل شهادتهم حجة على المنكرين، فهم بمنزلة أدلته وببراهينه الدالة على توحيده. **التاسع**: أنه سبحانه وتعالى أفرد الفعل المتضمن لهذه الشهادة الصادرة منه ومن ملائكته ومنهم، ولم يعطف شهادتهم بفعل آخر على شهادته، وهذا يدل عل شدة ارتباط شهادتهم بشهادته... **العاشر**: أنه سبحان وتعالى جعلهم مؤدين لحقه عند عباده بهذه الشهادة، فإذا أدوها فقد أدوا الحق المشهود به، فثبت الحق المشهود به، فوجب على الخلق الإقرار به، وكان ذلك غاية سعادتهم في معاشهم ومعادهم، وكل من ناله الهدى بشهادتهم، وأقر بهذا الحق بسبب شهادتهم، فلهم من الأجر مثل أجره.. وهذا فضل عظيم لا يدري قدره إلا الله، وكذلك كل من شهد بها عن شهادتهم فلهم من الأجر مثل أجره أيضاً، فهذه عشرة أوجه في هذه الآية «[2].

وقال السعدي :"في هذه الآية فضيلة العلم والعلماء؛ لأن الله خصهم بالذكر دون البشر، وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وجعل شهادتهم من أكبر الأدلة والبراهين على توحيده و دينه

(١) أخرجه البزار في مسنده من حديث ابي هريرة رضي الله عنه وعبدالله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً، (٩٤٢٣) (٢٤٧/١٦)، والطبراني في مسند الشاميين، رقم (٥٩٩) (٣٤٤/١).

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٤٩/١) (بتصرف).

وجزائه، وانه يجب على المكلفين قبول هذه الشهادة العادلة الصادقة" [1].

وقوله تعالى :(يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ) المجادلة :١١، وقال تعالى :(هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ) الزمر :٩، وقال تعالى :(إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ) فاطر :٢٨، وقال تعالى :(بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ) العنكبوت :٤٩.

قال ابن القيم رحمه الله :»مدح سبحانه وتعالى أهل العلم، وأثنى عليهم، وشرفهم بأن جعل كتابه آيات في صدورهم، وهذه خاصة ومنقبة لهم دون غيرهم» [2].

وأما السنة فمنها: قوله **صلى الله عليه وسلم** :"من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" [3].. وقوله **صلى الله عليه وسلم** :"من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً و لا درهماً، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر" [4].. وقوله **صلى الله عليه وسلم** :"طلب العلم فريضة على كل مسلم" [5].

قال ابن القيم رحمه الله :"إن الإيمان فرض على كل واحد، وهو ماهيَّةٌ مركَّبَةٌ من علم وعمل، فلا يتصور وجود الإيمان إلا بالعلم والعمل.. ثم شرائع الإسلام واجبة على كل مسلم ولا يمكن أداؤها إلا بعد معرفتها، والعلم بها، والله تعالى أخرج عباده من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا، فطلب العلم فريضة على كل مسلم. وهل تمكن عبادة الله التي هي حقه على العباد كلهم إلا بالعلم؟ وهل يُنال

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٩٦٤/١).

(٢) مفتاح دار السعادة ومشور ولاية العلم والإرادة (٥٠/١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث معاوية رضي الله عنهما، برقم (٧١) (٢٥/١).

(٤) أخرجه ابن ماجة في السنن من حديث أبي الدرداء، برقم (٢٢٣) (١٥٠/١).

(٥) أخرجة البيهقي في شعب الإيمان من حديث أنس رضي الله عنه، رقم (١٥٤٦) (١٩٥/٣).

العلم إلا بطلبه" [1].

وقوله **صلى الله عليه وسلم** :"إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلمٍ ينتفع به، وولدٍ صالح يدعو له" [2].

أهميـة العلم في بنـاء الفكـر

إذا كان الفكر لا يتأتي بناؤه إلا بالعقل، والعقل لا يتأتي بناؤه إلا بالعلم، كما أشار الى ذلك ابن القيم رحمه الله بقوله :»إن الإيمان فرض على كل واحد، وهو ماهيَّة مركبة من علم وعمل، فلا يتصور وجود الإيمان إلا بالعلم والعمل

ثم شرائع الإسلام واجبة على كل مسلم ولا يمكن أداؤها إلا بعد معرفتها، والعلم بها، والله تعالى أخرج عباده من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا

فطلب العلم فريضة على كل مسلم

وهل تمكن عبادة الله التي هي حقه على العباد كلهم إلا بالعلم؟

وهل يُنال العلم إلا بطلبه؟» [3].

إذا كان الأمر كذلك فهذا يعني أن العلم ضرورة فكرية لبناء الفكر ولتحصينه ولا يمكن بناء الفكر بناء علمياً وشرعياً صحيحاً وتحصينه تحصيناً قوياً ومتيناً يستعصي على الاختراق والاحتراق بنيران الشبهات المضللة، والأفكار المنحرفة إلا بالعلم وهذا ما دلت عليه الآيات القرآنية الني أوردناها في مبحث (اهتمام القرآن بالعلم)، ومبحث (فضل العلم وأهله) حيث اتضحت بجلاء أهمية العلم في بناء الفكر وغيره...

مظاهر أهمية العلم في بناء الفكر.

وبالإضافة الى ذلك يمكن أن نبرز أهمية العلم في بناء الفكر في المظاهر الآتية:

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١٥٦/١).

(٢) أخرجه الترمذي في السنن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رقم (١٣٧٦) (٦٥٢/٣).

(٣) مفتاح دار السعادة ومشور ولاية العلم والإرادة (١٥٦/١).

١-العلم ضرورة إيمانية: قال تعالى :(فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ) محمد :١٩: أي: ليكن إيمانك بالله واعتقادك بألوهيته وحده لا شريك له عن طريق العلم. فأمر المولى سبحانه وتعالى عباده بالإيمان به والاعتقاد بوحدانيته-وهو أساس البناء الفكري وكل بناء-عن طريق العلم؛ مما يدل على أن التعرف على الإيمان الصحيح والعقيدة السليمة لا يمكن إلا عن طريق العلم، وهذا يعني أن العلم ضرورة إيمانية وعقدية. وإذا كان العلم ضرورة إيمانية وعقدية، والإيمان أساس البناء الفكري فهذا يعني أن العلم ضرورة فكرية أيضاً. يقول ابن عطية :»الآية إضراب عن أمر هؤلاء المنافقين وذكر الأهم، والمعنى: دُم على علمك، وهذا هو القانون في كل أمر بشيء هو متلبس به، وهذا خطاب للنبي عليه السلام، وكل واحد من الأمة داخل فيه. واحتج بهذه الآية من قال من أهل السنة: إن العلم والنظر قبل القول، والإقرار في مسألة أول الواجبات. وبوب البخاري رحمه الله (العلم قبل القول والعمل) [١] لقوله تعالى :(فاعلم انه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك) الآية'' [٢]. ويقول ابن القيم :»فالعلم بوحدانية الله تعالى وإنه لا إله إلا هو مطلوبٌ لذاته وإن كان لا يكتفى به وحده، بل لابد معه من عبادته وحده لا شريك له، فهما مطلوبان لأنفسهما أن يعرف الرب تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه و أن يعبد بموجبها ومقتضاها، فكما أن عبادته مطلوبة مرادة لذاتها فكذلك العلم به ومعرفته» [٣].ويقول السعدي :''العلم لابد فيه من إقرار القلب ومعرفته، بمعنى ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بمقتضاه.

وهذا العلم الذي أمر الله به-وهو علم التوحيد-فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد كائناً من كان بل كلٌ مضطر إلى ذلك'' [٤].

ومثل هذه الآية: قوله تعالى :(فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ

(١) صحيح البخاري (٢٤/١).

(٢) المحرر الوجيز. في تفسير الكتاب العزيز (١١٦/٥).

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٧٨).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٧٨٧/١).

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ) هود :١٤، وقوله تعالى :(هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ) إبراهيم :٥٢، وقال صلى الله عليه وسلم :(من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة) [١].

٢-العلم ضرورة شرعية: لأن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب. فمعرفة أحكام الله وتشريعاته- وهي جزء هام من البناء الفكري والحصانة الفكرية للفرد والمجتمع-لا يمكن الوقوف عليها والقيام بها إلا بالعلم؛ ولهذا نرى أن الله سبحانه وتعالى يأمر بتعلمها والتعرف عليها في كثير من الآيات القرآنية منها: قوله تعالى :(فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ) النحل :٤٣

"يعني أهل العلم، والمعنى: فاسألوا أهل الذكر الذي هو العلم بالبينات والزبر إن كنتم لا تعلمون أنتم ذلك" [٢].

ويقول ابن القم :"أمر الله سبحانه وتعالى من لا علم له أن يسأل من هو أعلم" [٣]. "وقد كان سهل [التستري] رحمه الله تعالى سئل: ما عصي الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل؟ قال: نعم، قيل: ما هو؟ قال: الجهل بالجهل يعني أن يكون العبد جاهلاً وهو لا يعلم أنه جاهل، أو يحسب بجهله أنه عالم، فيسكت عن جهله ويرضى به فلا يتعلم فيضيع فرض الفرائض وأصل الفرائض كلها وهو طلب العلم" [٤].

ومثل هذه الآية: قوله تعالى :(وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ الذين يستنبطون منهم) النساء :٨٣، وقوله تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عثمان رضي الله عنه، رقم (٢٦) (٥٥/١).

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل-علي بن محمد الخازن(٧٨/٣).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١٤٠/٢).

(٤) قوت القلوب في معاملة المحبوب-محمد بن علي بن عطية الحارثي(٢٥٨/٢).

ذَٰلِكَ خَيْر وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا) النساء :٥٩: ففي الآيات إشارة إلى وجوب تعلم ما يجب تعلمه من الأحكام والشرائع.

وهناك كثير من الآيات التي يأمر الله عباده فيها بتعلم بعض القضايا الشرعية مثل: قوله تعالى :(وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ) الأنفال :٤١، وقوله تعالى :(وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَة وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيم) الأنفال :٢٨، وقوله تعالى :(فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُر وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ) التوبة :٢، و يؤكد هذا المعنى (أن العلم ضرورة شرعية)، قوله صلى الله عليه وسلم :"تعلموا القرآن وعلموه الناس، وتعلموا العلم وعلموه الناس، وتعلموا الفرائض وعلموها الناس، فإني امرؤٌ مقبوض، وإن العلم سيقبض حتى يختلف الرجلان في الفريضة لا يجدان من يخبرهما بها" [1].

٣-**العلم ضرورة عبادية**: تعد العبادات جزءً من الإيمان، بل هي المقصود من قوله تعالى :(فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ) محمد :١٩ أي: اعبد الله على علم. وأن العبادة هي الهدف من خلق الإنسان قال تعالى :(وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) الذاريات :٥٦. وتعد العبادات مكوناً فكرياً هاماً لا يكمل بناء الإنسان فكرياً إلا بالإلمام به علمياً وممارسته عملياً.

وإذا كانت العبادات جزاً من البناء الفكري للفرد والجماعة على حد سواء، وأنه لا يمكن الوقوف عليها والقيام بها كما شرعها لله سبحانه وتعالى إلا بالعلم، فهذا يعني أن العلم ضرورة عباداتية لأداء العبادات التي فرضها الله سبحانه وتعالى على عباده، من صلاة، وصيام، وحج...وغيرها.. قال تعالى: (وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّة فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَة مِّنْهُمْ طَآئِفَة لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) التوبة :١٢٢..

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، رقم (١٥٤٨) (٢٠٤/٣).

يقول ابن القيم رحمه الله :»ندب-تعالى-المؤمنين إلى التفقه في الدين وهو تعلمه وإنذار قومهم إذا رجعوا إليهم وهو التعليم» [١].

ويقول القرطبي :"هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم، لأن المعنى: وما كان المؤمنون لينفروا كافة والنبي صلى الله عليه وسلم مقيم لا ينفروا فيتركوه وحده (فلولا نفر) بعد ما علموا أن النفير لا يسع جميعهم (من كل فرقة منهم طائفة) وتبقى بقيتها مع النبي صلى الله عليه وسلم ليتحملوا عنه الدين ويتفقهوا، فإذا رجع النافرون إليهم أخبروهم بما سمعوه وعلموه. وفي هذا إيجاب التفقه في الكتاب والسنة وأنه على الكفاية دون الأعيان" [٢]؛ لأن العبادات لا يجوز أداؤها إلا بيقين، ولا سبيل إلى اليقين إلا بالعلم، فإن العلم هو اليقين، وإن اليقين متولد عنه، ولهذا ندد الله سبحانه وتعالى بمن يعبدونه على شك قال تعالى :(ومن الناس من يعبد على حرف) الحج :١١ أي على شك ، قال ابن عطية :"أي على وجه وطريقة هي ريبٌ وشك" [٣].

وقال صلى الله عليه وسلم :"من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" [٤].

فلا بد من عبادة الله على علم: فتوحيد الله لا يصح إلا عن علم، قال تعالى :**(فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ)** محمد: ١٩، والصلاة لا تصح إلا عن علم ولهذا قال **صلى الله عليه وسلم**:"صلوا كما رأيتموني أصلي" [٥]، والحج لا يصح إلا عن علم، ولهذا قال **صلى الله عليه وسلم** :" خذوا عني مناسككم" [٦].

٤-العلم ضرورة عقلية: إذا لا يتأتى بناء العقل وتحصينه إلا بالعلم؛ ولهذا اهتم القرآن ببناء العقل بناء علمياً ومعرفياً بصورة ملفتة للنظر وسوف يتضح ذلك من خلال التوجيهات الآتية:

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٥٦/١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٤/٨).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٤/١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنهما، رقم (٧١) (٣٩/١).

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى من حديث مالك بن الحويرث، رقم (٤٤٣) (٢٩٨/٢).

(٦) المرجع السابق من حديث جابر رضي الله عنه،رقم (٩٥٢٤) (٢٠٤/٥).

الأمر بالقراءة والكتابة: وهو أول أمر أنزله الله تعالى في القرآن، بل هو أول ما نزل من القرآن على الإطلاق فقال تعالى :(ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ . ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ . ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ . عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ) العلق :٥-١

والأمر بالقراءة أمر بالكتابة الذي يشير إليه لفظ القلم في قوله تعالى :(علم بالقلم).

والأمر بالقراءة والكتابة أمرٌ بالعلم الذي يشير اليه لفظ العلم في قوله تعالى :(علم بالقلم)، قال ابن كثير :» فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات وهن اول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقه، وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي أمتاز به أبو البرية آدم على الملائكة، والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان، ذهني ولفظي ورسمي، والرسمي يستلزمهما من غير عكس...» [1].

الحث على اعمال العقل وعدم إهماله: وذلك بالنظر والتفكر والتدبر وهي إحدى الطرق والوسائل لتحصيل العلم والمعرفة شرعها الله سبحانه وتعالى بناءً للعقل وإعمالاً له، ويدل على ذلك آيات النظر والتفكر والتدبر وهي كثيرة جداً منها على سبيل المثال:

قوله تعالى :(قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ) العنكبوت :٢٠، وقوله تعالى :(إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ . ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ) ال عمران :١٩١،١٩٠، وقوله تعالى :(كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ) ص :٢٩

(١) تفسير القرآن العظيم (٤٣٧/٨).

التنديد بالظن: قال تعالى :(إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا) يونس :٣٦، وقال تعالى:(وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا) النجم :٢٨

النهي عن اتباع الهوى: قال تعالى :(يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ) ص :٢٦، وقال تعالى :(وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ) المائدة :٤٨، وقال تعالى :(وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ) القصص :٥٠

التنديد بالتقليد الأعمى للآباء: قال تعالى :(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ) البقرة :١٧٠، وقال تعالى :(وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ) المائدة :١٠٤

وغير ذلك من التوجيهات والشواهد التي تدل على أن العلم ضرورة لبناء العقل وتحصينه.

٥-العلم ضرورة فكرية: فإذا كان العلم ضرورة إيمانية، وضرورة شرعية، وضرورة عبادية، وضرورة عقلية، والإيمان والتشريعات والعبادات والعقل مكونات هامة وأساسية لبناء الفكر، فهذا يعني أن العلم ضرورة فكرية لبنائه وتحصينه.

فبالعلم يتميز الحق من الباطل، والصحيح من الفاسد، وبالعلم نفند الشبهات، ونسدَّ أبواب الشهوات، وبالعلم نحارب الانحرافات و نمنع الاضطرابات، وبالعلم نبني الأفكار ونواجه الأخطار، وبالعلم نرسخ العقائد ونقوي الإيمان، ونبني الأوطان ونصد العدوان...وبالعلم... وبالعلم... وبالعلم...الخ .

المبحث الثالث

الأســـاس العبـادي

ويشتمل على: مفهوم العبادة، واهتمام القرآن بالعبادة، وأهمية العبادة في بناء الفكر.

الأســاس العبــادي

مفهـــوم العبـــادة

العبادة في اللغة: «الطاعة مع الخضوع. ويقال طريق معبَّد إذا كان مذللاً بكثرة الوطء، وبعير معبَّد إذا كان مطلياً بالقطران» (١).

ويقول أبو هلال العسكري :''العبادة غاية الخضوع ولا تستحق إلا بغاية الإنعام ولهذا لا يجوز أن يعبد غير الله تعالى ولا تكون العبادة إلا مع المعرفة بالمعبود'' (٢). و ''العبادة: الخضوع للإله على وجه التعظيم والشعائر الدينية'' (٣).

وفي الشرع: عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله :»العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»(٤). و ''العبادة هي فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربه'' (٥).

وعرفها الشيخ ابن عثيمين، فقال :''العبادة تطلق على أمرين: على الفعل والمفعول.

وتطلق على الفعل الذي هو التعبد، فيقال: عبد الرجل ربه عبادة وتعبداً وإطلاقها على التعبد من

---

(١) تهذيب اللغة-محمد بن أحمد الأزهري (١٣٨/٢).

(٢) الفروق اللغوية، (ص٢٢١).

(٣) المعجم الوسيط-إبراهيم مصطفى، وآخرون (٥٧٩/٢).

(٤) الفتاوى الكبرى (١٥٤/٥).

(٥) التعريفات-علي بن محمد على الجرجاني، (ص١٤٦).

باب إطلاق اسم المصدر، ونعرفها باعتبار إطلاقها على الفعل بأنها: التذلل لله عزوجل حباً وتعظيماً بفعل أوامره واجتناب نواهيه وتطلق على المفعول، أي: المتعبد به، وهي بهذا المعنى تعرف بما عرفها به شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال رحمه الله: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة" [1].

اهتمـام القرآن بالعبـادة

من المعلوم من الدين بالضرورة أن الله خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له، قال تعالى :(وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) الذاريات :٥٦، وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه :"يا ابن آدم تفرغ لعبادتي، أملأ صدرك غنىً، وأسد فقرك، وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسدَّ فقرك" [2].. فالعبادة هي الغاية من خلق الإنسان؛ ولهذا تعددت حتى شملت حياة الإنسان كلها، قال تعالى :(قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ) الأنعام :١٦٢،١٦٣، وعلى هذا الأساس ينبغي ان يقوم فكر المسلم و ينبني عليه.

مظاهـر اهتمام القرآن بالعبادة.

وقد اهتم القرآن بالعبادة اهتماماً واسعاً وشاملاً سعة وشمول مفهوم العبادة، ويمكن إبراز هذا الاهتمام في المظاهر الآتية:

١-الأمر بعبادة الله إجمالاً: وقد ورد الأمر بعبادة الله إجمالاً بصيغتين: بصيغة الإفراد وبصيغة الجمع.

أ-الأمر بعبادة الله بصيغة الإفراد: وقد ورد الأمر بعبادة الله بهذه الصيغة في كثير من الآيات منها: قوله تعالى :(وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ) الحجر :٩٩، وقوله تعالى :(إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصا لَّهُ ٱلدِّينَ) الزمر :٢، وقوله تعالى :(بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن

(١) شرح العقيدة الواسطية، (ص٢٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه في السنن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رقم (٤١٠٧) (١٣٧٦/٢).

مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ) الزمر :٦٦، وقوله تعالى :(إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ) طه :١٤، وقوله تعالى :(رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ) مريم :٦٥

ب-الأمر بعبادة الله بصيغة الجمع: وقد ورد الأمر بعبادة الله بصيغة الجمع في الكثير من الآيات منها: قوله تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ) البقرة :٢١، وقوله تعالى :(وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا)النساء :٣٦، وقوله تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ) الحج :٧٧، وقوله تعالى :(أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِين . وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيم) يس :٦٠،٦١ ، وقوله تعالى :(إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ) الأنبياء :٩٢

٢-النهي عن عبادة غير الله: وقد ورد النهي عن عبادة غير الله في كثير من الآيات منها: قوله تعالى :(وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ) الإسراء :٢٣، وقوله تعالى :(إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ) يوسف :٤٠، وقوله تعالى :(أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ) يس :٦٠، وقوله تعالى :(الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ . أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ) هود :١،٢

٣-النهي عن الشرك بالله: وقد ورد النهي عن الشرك بالله في كثير من الآيات منها: قوله تعالى: (وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا) النساء :٣٦، وقوله تعالى :(فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ) البقرة :٢٢، وقوله تعالى :(لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا) الإسراء :٢٢، وقوله تعالى :(قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا) الكهف :١١٠، وقال تعالى :(وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا) الجن :١٨

٤-الأمر بعبادة الله تفصيلاً:وكما أمر الله بعبادته على سبيل الإجمال أمر بعبادته على سبيل التفصيل:

فأمر بإقامة الصلاة: قال تعالى :(ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) العنكبوت :٤٥، وقال تعالى :(حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ) البقرة :٢٣٨

وأمر بالصيام: قال تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) البقرة :١٨٣

وأمر بإيتاء الزكاة: قال تعالى :(وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ) البقرة :٤٣، وقال تعالى :(وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) البقرة :١١٠

وأمر بالحج: قال تعالى :(وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاًۚ) ال عمران :٩٧، وقال تعالى :(وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ) البقرة :١٩٦

وأمر بذكره سبحانه وتعالى: قال تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا . وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) الأحزاب :٤١،٤٢، وقال تعالى :(فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْۚ) النساء :١٠٣

وأمر بتلاوة القرآن: قال تعالى :(ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) العنكبوت :٤٥، وقال تعالى :(وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا) الكهف :٢٧.

أهميـــة العبـــــادة في بناء الفكر

مما لا شك فيه أن العبادة تمثل أساساً هاماً في بناء عقل المسلم وتحصينه وهي أهم الوظائف

الرئيسية للعبادات بعد البناء الروحي التي تفهم من قوله تعالى :(وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) الذاريات :٥٦

فهي غذاء للروح وطمأنينة للقلب وراحة للنفس وتحرير للعقل من الخرافات والاساطير وعبادة غير الله، وهذا يعني أن العبادة بناء للعقل في المقام الأول، أي أنها مكوَّن هام من مكوَّنات بنائه.

فإذا كانت العبادة أهم مكونات البناء العقلي، والعقل أهم مكونات البناء الفكري، فهذا يعني أن العبادة مكون أساسي من مكونات البناء الفكري وأساسٌ هام من أسسه.

فإذا عبِّد عقل الإنسان لله تعالى، عبِّد كل شيء لله تبعاً له، وهذا بدوره يعكس نفسه على طبيعة الفكر وكيفية بنائه، كما تدل على ذلك الآيات القرآنية التي تم عرضها في موضوع (اهتمام القرآن بالعبادة) إذ أظهرت بوضوح أهمية العبادة في بناء الفكر كمكوِّن من مكوناته وأساس من أسسه.

مظـاهر أهميـة العبادة في بنـاء الفكر.

ويمكن ابراز هذه الاهمية من خلال المظاهر الآتية:

١-العبادة وظيفة خَلْقِيَّة.

قال تعالى :(وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) الذاريات :٥٦

''أي وما خلقت الجن والإنس إلا لأجل العبادة ولم أُرِدْ من جميعهم إلا إياها'' (١).

ويقول الإمام بن رجب الحنبلي :''إن الله خلق الخلق وأوجدهم لعبادته الجامعة لخشيته ورجائه ومحبته'' (٢).

ويقول السعدي :''هذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفةً لربه كانت

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل-محمد بن عمرو بن أحمد الزمخشري (٤٠٦/٤).

(٢) روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) (٣١٩/٢).

عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله" [1].

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله :"العبادة هي الغاية التي خلق لها الجن والإنس والخلائق كلها. قال الله تعالى :(أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى)القيامة :٣٦ أي مهملاً. قال الشافعي: لا يؤمر ولا ينهى، وقال غيره: لا يثاب ولا يعاقب، والصحيح: الأمران. فإن الثواب والعقاب مترتب على الأمر والنهي، والأمر والنهي هو طلب العبادة وإرادتها، وحقيقة العبادة امتثالهما. وقال تعالى :(وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ) ال عمران :١٩١، وقال :(وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ) الحجر :٨٥، وقال :(وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) الجاثية :٢٢.

فأخبر أنه خلق السماوات والأرض بالحق المتضمن: أمره ونهيه، وثوابه وعقابه.

فإذا كانت السماوات والأرض وما بينهما خلقت لهذا، وهو غاية الخلق... فالله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته الجامعة لكمال محبته مع الخضوع له والانقياد لأمره» [2].

ويقول سيد قطب :" إن هذا النص الصغير ليحتوي حقيقةً ضخمة هائلة، من أضخم الحقائق الكونية التي لا تستقيم حياة البشر في الأرض بدون إدراكها واستيقانها. سواء كانت حياة فرد أو جماعة. أم حياة الإنسان كلها في جميع أدوارها وأعصارها. وإنه ليفتح جوانب وزوايا متعددة من المعاني والمرامي، تندرج كلها تحت هذه الحقيقة الضخمة، التي تعد حجر الأساس الذي تقوم عليه الحياة.

وأول جانب من جانب من جوانب هذه الحقيقة أن هناك غاية معينة لجود الجن والإنس تتمثل في وظيفةٍ من قام بها وأداها فقد حقق غاية وجوده ومن قصر فيها أو نَكَلَ عنها فقد أبطل غاية وجوده وأصبح بلا وظيفة، وباتت حياته فارغة من القصد، خاوية من معناها الأصيل، الذي تستمد منه قيمتها الأولى. وقد انفلت من الناموس الذي خرج به إلى الوجود، وانتهى إلى الضياع المطلق، الذي

(١) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٨١٣/١).

(٢) تفسير القرآن الكريم (ابن القيم) (٩٣/١) (بتصرف).

يصيب كل كائن ينفلت من ناموس الوجود، الذي يربطه ويحفظه ويكفل له البقاء.

هذه الوظيفة المعينة التي تربط الجن والإنس بناموس الوجود هي العبادة لله. أو هي العبودية لله. أن يكون هناك عبدٌ ورب. عبدٌ يَعبُدُ، ورب يُعبَدُ، وأن تستقيم حياة العبد كلها على أساس هذا الاعتبار" [٣].

٢-العبادة فطرة إنسانية.

قال تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) الروم :٣٠.

يقول ابن عاشور :»المعنى: فأقم وجهك للدين والمؤمنون معك، كما يؤذِن به قوله بعده (مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ) الروم :٣١ بصيغة الجمع. وإقامة الوجه: تقويمه وتعديله باتجاه قبالة نظره غير ملتفت يميناً ولا شمالاً. وهو تمثيل لحالة الإقبال على الشيء والتمحُّض للشغل به بحال قصر النظر إلى صوب قبالته غير ملتفت يَمْنَةً ولا يَسْرَةً، وهذا كقوله تعالى :(وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ) الأعراف :٢٩، وقوله حكايةً عن إبراهيم :(إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ)الأنعام :٧٩، وقوله تعالى :(فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ) ال عمران:٢٠ أي أعطيته لله، وذلك معنى التمحيض لعبادة الله وأن لا يلتفت إلى معبود غيره» [٤].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: هذه الفطرة التي فطر الله عليها عبادة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :"كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تُحِسُّون فيها من جدعاء، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: اقرءوا إن شئتم (الروم) "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله" أخرجه البخاري ومسلم[٥].

(٣) في ظلال القرآن (٣٣٨٧/٦).

(٤) التحرير والتنوير (٨٩/٢١).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، برقم (٤٧١٦) (٣٦٦/٤) وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم (٢٦٥٨) (٢٠٤٧/٤).

فالله سبحانه فطر عباده على محبته وعبادته وحده، فإذا تركت الفطرة بلا فساد كان القلب عارفاً بالله محباً له وحده لكن تفسد فطرته من مرضه كأبويه يهودانه أو ينصرانه، وهذه كلها تغيِّر فطرته التي فطره الله عليها وإن كانت بقضاء الله وقدره كما يغير البدن بالجدْعِ ثم قد يعود إلى الفطرة إذا يسر الله تعالى لها من يسعى في إعادتها إلى الفطرة، والرسل صلى الله عليهم وسلم بعثوا لتقرير الفطرة وتكميلها لا لتتغير الفطرة وتحويلها" [1].

٣-العبادة تصورات ومفاهيم علمية: فالعبادة ليست أداء شعائر مجردة بلا علم ولا فكر ولا فقه ولا روح ولا اعتقاد، بل هي عبادات وشعائر تؤدى عن علم وفكر وفقه وبروح واعتقاد، لهذا تترك أثرها في حياة الناس: راحة، وسعادة، ورضى وطمأنينة، ومحبة ومودة، وتعاونا وتراحما، وتكافلاً وتعاطفاً...الخ

فالصلاة: تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى :﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ العنكبوت :٤٥، وهي راحة للنفس، قال **صلى الله عليه وسلم** لبلال :"يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها" [2]، وهي قرة للعين، قال **صلى الله عليه وسلم** :"حبب إلي النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة" [3].

والصيام: يولد التقوى، التي هي امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ البقرة :١٨٣.

ويروض النفس على ترك الشهوات والتحكم فيها بمنعه مؤقتاً من شهوتي البطن والفرج.

والزكاة: تطهيرٌ وتزكية، قال تعالى :﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ التوبة :١٠٣ ...وهكذا سائر

---

(١) أمراض القلوب وشفاؤها،(ص٢٦).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه من حديث سالم بن أبي الجعد، رقم (٤٩٨٧) (٤٥٣/٤).

(٣) أخرجه النسائي في السنن الصغرى (المجتبى من السنن من حديث أنس رضي الله عنه، رقم (٣٩٤٠) (٦١/٧).

العبادات.

فكل عبادة لها فلسفتها وفكرها وفقهها وعلمها ومعارفها وأسرارها المتجددة والمستمرة وبهذا يتبين أن العبادات: علومٌ عقدية، وتصورات فكرية، ومعارف تشريعية وقيمية وأخلاقية.

هذه العلوم والمعارف والتصورات-بلا شك- تعد أسساً أساسية في البناء الفكري وتحصينه.

٤-العبادة تغذية روحية.

إن العبادات غذاء الروح، والروح مصدر العقل، والعقل ملكة روحية، «والروح في الإنسان هي أساس وجوهر الوعي والإدراك والإرادة» [١]، ((وبالروح يدرك [الإنسان] ويعي ويفكر ويعلم ويريد ويختار ويحب ويكره'' [٢].

يقول الإمام الغزالي معرفاً الروح أنها :''جسمٌ لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني، فيتشربوا بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن. وجريانه في البدن. وفيضان أنوار الحياة والحسِّ و البصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهي فيضان النور من السراج'' [٣].

ويقول الفيروز آبادي في تعريفه للعقل :''والحق أنه نورٌ روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية'' [٤].

فإذا كان العقل ملكة روحانية، والروح هي مصدره فهذا يعني أنه ينمو بما تنمو به الروح، وإنما تنمو الروح بفعل الطاعات وترك المعاصي وإذا كان العقل وهو أداة الفكر ومصدره ينمو بالطاعات وترك المعاصي، فهذا يعني أن الفكر ينمو بما ينمو به العقل من فعل الطاعات وأداء العبادات وترك المعاصي.

---

(١) القرآن وعلم النفس، د/مفتاح محمد عبدالعزيز، (ص٨٦).

(٢) عناصر القوة في الإسلام-سيد سابق،(ص٣٧).

(٣) إحياء علوم الدين (٣/٣).

(٤) القاموس المحيط، مادة (عقل) (١٩/٤).

المبحث الرابع
الأســـاس القيمـــي

ويشتمل على: مفهوم القيـم، واهتمام القرآن بالقيم، أهمية القيم في بنـــاء الفكر.

الأساس القيمـــي

مفهوم القيـــم:

«القيم في اللغة: مصدر.. قام قِيَماً.. والقِيمَ: الاستقامة. ديناً قيماً: مستقيماً» [1]. و ''القيم: جمع قيمة، والقيمة: الثمن الذي يُقاوم به المتاع، أي يقوم مقامه'' [2]. ويقول الزبيدي :''ويقول ابن منظور :''قال الزجاج: قِيَماً مصدر كالصِّغَر والكِبَر...

قال حسان[بن ثابت رضي الله عنه]: وأشهد أنك عند المليك أُرْسِلْتَ بدينٍ قِيَمْ [3].

معنى القيم في الاصطلاح:

من خلال تتبع مصطلح (القيم) في اللغة باشتقاقاته المختلفة تبين أنه لم يستعمل بالمعنى المعاصر الذي يستعمل اليوم والذي يقابل مصطلح (الأخلاق) كما هو واضح في المعنى اللغوي الذي أوردناه.

ولهذا تباينت تعاريف هذا المصطلح (القيم):

فعرفت بأنها «بمجموعة الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية، وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع وعلى التوافق مع أعضائه وعلى العمل من اجل النفس والأسرة

(١) تهذيب اللغة-محمد بن أحمد بن الأزهري (باب القاف والميم) (٢٦٧،٢٦٨/٩) (بتصرف).

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير-أحمد بن محمد الفيومي، مادة (قوم) (٥٢٠/٢) (بتصرف).

(٣) لسان العرب-مادة(قوم) (٥٠٣/١٢)ى(بتصرف).

والعقيدة» [1].

وعرفت بأنها :"معيار وغاية نابعة من الشرع ومنبثقة عن العقيدة الإسلامية يقصدها المسلم عند قيامه بالأعمال، وتقف في أعلاها غاية الغايات وهي مرضاة الله" [2].

اهتمام القرآن بالقيم

لقد اهتم القرآن بالقيم الإنسانية اهتماماً لا مثيل له: ذكراً، وتشريعاً، وتوظيفاً، فربطها بالعبادات والتشريعات ربطاً عضوياً ووظيفياً فجعلها جزءً منها لا تؤدى إلا مقرونةً بها، وأثاب على فعلها وعاقب على تركها، وحث على فعل القيم الإيجابية الحسنة وأمر بها، وحذر من القيم السلبية السيئة ونهى عنها.

مظاهر اهتمام القرآن بالقيم:

ويبرز هذا الاهتمام في مظاهر كثيرة منها:

١-الإشادة بالقيم الإيجابية والأخلاق الكريمة بصورة إجمالية.

وذلك من خلال الإشادة بحسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم كما تشير إلى ذلك كتب السير، وكما روي عن عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خُلُق الرسول **صلى الله عليه وسلم**، فقالت :"كان خلقه القرآن" [3]، قال تعالى :(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيم) القلم :٤.

وقال صلى الله عليه وسلم :"إن الرجل ليدرك بحسن خُلُقه درجة الصائم القائم)" [4].

٢-الدعوة إلى القيم الإيجابية والأخلاق الكريمة بصورة إجمالية: قال تعالى :(**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينا**) الإسراء :٥٣، وقال **صلى الله عليه وسلم** :"اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة

(١) المبادئ والقيم في التربية الإسلامية-محمد جميل خياط، (ص٣٣).

(٢) أساليب تدريس التربية الإسلامية-محمد ريان وآخرون، (ص٦٨).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد من حديث عائشة رضي الله عنها، رقم (٣٠٨)، (ص١٦٠).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رقم (٢٨٤)، (ص١٠٧).

الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن" [1].

٣-التحذير من القيم السلبية والأخلاق السيئة بصورة إجمالية: قال تعالى :(وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) النحل :٩٠، وقال صلى الله عليه وسلم داعياً :"اللهم جنبني منكرات الأخلاق، والأهواء، والأعمال، والأدواء" [2]، وقال صلى الله عليه وسلم داعياً أيضاً :" واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت" [3]. **٤-الأمر بالقيم الإيجابية بصورة تفصيلية: فأمر بالعدل:** فقال تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ) المائدة :٨، وقال تعالى :(وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) الأنعام :١٥٢، وقال تعالى :(إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ)ا لنحل :٩٠، وقال تعالى :(إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرا) النساء :٥٨.

وأمر بالمساواة: قال تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرا) النساء :١٣٥، فهذا أمر بالمساواة بين الشرفاء والضعفاء في الحدود؛ لأن الناس سواسية في أصل الخَلْق. وقال تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر رضي الله عنه، رقم (٢١٣٥٤) (٢٨٤/٣٥).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين من حديث زياد بن علاقة عن عمه قطبة، (١٩٤٩) (٧١٤/١)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم (٧٧١) (٥٣٤/١).

وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبا) النساء :١. وقال تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَر وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ) الحجرات :١٣. ويؤكد هذا المعنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم :"الناس مستوون كأسنان المشط" (١)، وقوله صلى الله عليه وسلم :"يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى" (٢).

وأمر بالتسامح: ونقصد به التسامح العام :الديني والاجتماعي، والوطني، والإنساني...الخ وإلى هذا يشير القرآن في كثير من آياته، منها: قوله تعالى :(لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ والله سميع عليم) البقرة :٢٥٦، وقوله تعالى :(خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ) الأعراف :١٩٩، وقوله تعالى :(وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ) النور :٢٢، وقوله تعالى :(فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصفَح إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ) المائدة :١٣، وقوله تعالى :(فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ) ال عمران :١٥٩، وقوله تعالى :(وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ) البقرة :٨٣.

وأمر بالوفاء بالعهد: قال تعالى :(وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولا) الإسراء :٣٤، وقال تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ) المائدة :١، وقال تعالى :(وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاًۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) النحل :٩١، وقال تعالى :(وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) الأنعام :١٥٢.

(١) أخرجه الدولابي في الكنى والأسماء من حديث صهل بن سعد، رقم (٩٥٠) (٥٢٤/٢).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي نضرة عن جابر بن عبدالله، رقم (٤٧٧٤) (١٣٢/٧).

وأمر بالتعاون على البر والتقوى: قال تعالى :(وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ) المائدة :٢، وقال تعالى :(وَٱلۡعَصۡرِ . إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ . إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ) العصر :٣-١، قال السعدي :»والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضاً بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه» [١]. وقال الشيخ ابن باز رحمه الله :»فهذه السورة العظيمة القصيرة اشتملت على معانٍ عظيمة من جملتها التواصي بالحق وهو التعاون على البر والتقوى» [٢].

وأمر بالصدق: قال تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ) التوبة :١١٩، وقال تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا) الأحزاب :٧٠، وقال تعالى :(وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ) الزمر :٣٣، وقال **صلى الله عليه وسلم** :"عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً " [٣].

وأمر بالصبر: قال تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ) ال عمران :٢٠٠ . وقال تعالى :(وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ) الأنفال :٤٦.

وقال تعالى :(وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ) الكهف :٢٨.

وقال تعالى :(يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ) لقمان :١٧، وقال تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص٩٣٤).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٨٧/٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، رقم (٢٦٠٧) (٢٠١٣/٤).

ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ) البقرة :١٥٣

وأمر بأداء الأمانة: قال تعالى :(إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرا) النساء :٥٨، وقال تعالى :(فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ) البقرة :٢٨٣، وقال **صلى الله عليه وسلم** :"أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك" (١).

وأمر بالإحسان: قال تعالى :(وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ) البقرة :١٩٥.

وقال تعالى :(وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ) النحل :٣٠، وقال **صلى الله عليه وسلم** :"إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فاحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته" (٢).

وأمر بغض البصر والاحتشام: قال تعالى :(قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ . وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ) النور :٣٠،٣١

(١) أخرجه أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رقم (٣٥٣٧) (٣١٣/٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث شداد بن أوس، رقم (١٩٥٥) (١٥٤٨/٣).

٥- النهي عن القيم السلبية بصورة تفصيلية.

وكما نهى القرآن عن القيم السلبية بصورة إجمالية نهى عنها بصورة تفصيلية:

فنهى عن الظلم: قال تعالى :(وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابا كَبِيرا) الفرقان :١٩، وقال تعالى :(إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ) الشورى :٤٠، وقال تعالى :(وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْما) طه :١١١، وقال تعالى في الحديث القدسي :»يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرماً فلا تظالموا» [(١)]، وقال **صلى الله عليه وسلم** :" اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة" [(٢)].

ونهى عن خيانة الأمانة: قال تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) الأنفال :٢٧، وقال تعالى :(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ) الأنفال :٥٨، وقال **صلى الله عليه وسلم** :(ولا تخن من خانك) [(٣)].

ونهى عن الإسراف والتبذير: قال تعالى :(وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ) الأعراف :٣١، وقال تعالى :(وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ) الأنعام :١٤١، وقال تعالى :(وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا . إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورا) الإسراء :٢٦،٢٧، وقال تعالى :(وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوما مَّحْسُورًا) الإسراء :٢٩، وقال تعالى :(وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاما) الفرقان :٦٧

ونهى عن الكذب والافتراء: قال تعالى :(وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ) النحل :١١٦، وقال تعالى :(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِف كَذَّاب) غافر :٢٨،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه، برقم (٢٥٧٧) (١٩٩٤/٤).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد من حديث جابر بن عبدالله، رقم (٤٨٣)، (ص١٧٠).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رقم (٢٢٩٦) (٥٣/٢).

وقال تعالى :(فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ) التوبة :٧٧.

ونهى عن السخرية واحتقار الناس:قال تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْم مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآء مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ) الحجرات :١١.

ونهى الغيبة والتجسس: قال تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْم وَ لَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّاب رَّحِيم) الحجرات :١٢.

ونهى عن التكبر: قال تعالى حكايةً عن لقمان وهو يوصي ابنه :(وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَال فَخُور * وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ) لقمان ١٨،١٩، وقال تعالى :(وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولا) الإسراء :٣٧.

ونهى عن الانتحار: قال تعالى :(وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيما . وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنا وَظُلْما فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا) النساء :٢٩،٣٠ ، وقال تعالى :(وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ) البقرة: ١٩٥

ونهى عن الحسد والطمع: قال تعالى :(أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ) النساء :٥٤، وقال تعالى :(وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيب مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيب مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِ) النساء :٣٢، وقال تعالى :(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ . مِن شَرِّ مَا خَلَقَ . وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ . وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ . وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) الفلق :١-٥

ونهى عن الزنا: قال تعالى :(وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا) الإسراء :٣٢، وقال تعالى :(ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ)النور :٢.

أهميـــة القيـــم في بنـــــاء الفكـــــر

للقيم والأخلاق «أهمية بالغة في سلوك الإنسان وما يصدر عنه، بل نستطيع أن نقول: إن سلوك الإنسان موافقٌ لما هو مستقر في نفسه من معان وصفات، وما أصدق كلمة الإمام الغزالي إذ يقول في إحيائه :(فإن كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها في الجوارح، حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة) [1]، فأفعال الإنسان إذاً موصولة دائماً بما في نفسه من معان وصفات صلة فروع الشجرة بأصولها المغيبة في التراب، ومعنى ذلك أن صلاح أفعال الإنسان بصلاح أخلاقه؛ لأن الفرع بأصله، إذا صلح الأصل صلح الفرع، وإذ فسد الأصل فسد الفرع" [2].

فإذا كانت هذه هي علاقة القيم والأخلاق بسلوك الإنسان وكما اتضح ذلك من خلال مبحث (اهتمام القرآن بالقيم)، فهذا يعني أن القيم والأخلاق أساس هام من أسس البناء الفكري خاصة، والبناء الشمولي عامة بعد العقيدة والعبادة.

مظاهر أهمية القيم في بناء الفكر:

فبالإضافة إلى أن الأخلاق: قد علل بها الرسول صلى الله عليه وسلم بعثته، وأنها أساس بقاء الأمم والحضارات، وأنها من أسباب المودة، وإنهاء العداوة، وأنها محدد من محددات الشخصية ومقوم من مقومات السلوك، وتنمي الشعور الجماعي، وأنها مما يثقل الله به الموازين يوم القيامة، وأنها من أكبر الأسباب لدخول الجنة، ومن موجبات الشفاعة، ومجاورة الرسول والقرب منه صلى الله عليه وسلم.

فبالإضافة إلى أن الاخلاق حصانة سلوكية، فإنها حصانة فكرية.

وسوف يتضح ذلك من خلال المظاهر الآتية:

---

(١) (٥٩/٣).

(٢) أصول الدعوة-عبدالكريم زيدان،(ص٨٠).

١-الأخلاق حصانة من الازدواجية الفكرية: وهي تعدد الرأي، وتعدد العقيدة، وتعدد الفكر، وتعدد الثقافة تعدد تعارض وتناقض لدى الشخص الواحد؛ ولهذا حرم الله خُلُق النفاق، وهو إظهار الإيمان وإبطان الكفر، أي إظهار الإيمان بفكر وإبطان الكفر به والإيمان بفكر آخر، وهذه هي الازدواجية عينها في أبرز معانيها وأوضح مظاهرها.

قال تعالى :(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ . يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ . وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ . ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ . أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ) البقرة :٨- ١٦

وقال تعالى :(إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ . ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ . ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) المنافقون :١-٣.

٢-الأخلاق حصانة من انفصام الشخصية: وهي اضطراب نفسي يعاني بسببه الشخص من تغيرات غير طبيعية في التفكير والمشاعر والعواطف والتصرفات.

ولهذا حرم الله خُلُقَ التناقض في الأقوال والأفعال محافظةً على وحدة شخصية الإنسان وحمايةً لها من الانفصام، قال تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ) الصف :٢،٣

قال الإمام ابن رجب الحنبلي :"لما حاسب المتقون أنفسهم خافوا من عاقبة الوعظ والتذكير. قال رجل لابن عباس: أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، فقال له: إن لم تخشى أن تفضحك هذه الآيات الثلاث فافعل، وإلا فابدأ بنفسك" (١).

وقال ابن عاشور :"ناداهم بوصف الإيمان تعريضاً بأن الإيمان من شأنه أن يزع المؤمن عن أن يخالف فعله قوله في الوعد بالخير"(٢).

وقال تعالى :(لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) البقرة :٢٥٦

فالآية تدل على أن عقيدة التوحيد، عقيدة الإيمان بالله وحده لا شريك له عقيدة تحافظ على وحدة شخصية الإنسان وتحميه من الانفصام؛ لأنها كما قال تعالى :(لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ) على عكس غيرها من العقائد.

يقول محمد رشيد رضا :"إن عروة الإيمان إذا كانت لا تنقطع بالمستمسك بها فهو لا يخشى عليه الهلكة إلا إذا كان هو الذي تركها، فإذا كان الإيمان بالله و ما يتبعه من الآثار في صفات صاحبه وأعماله من أسباب الثبات والاستقرار في الوجود- لأنه هو الحق والخير الموافق لمصالح العالم-فلا شك أن شدة التمسك به هي العصمة من الهلاك والسبب الأقوى للثبات والاستقرار في الملك والسيادة والسعة في هذه الحياة الدنيا، وللبقاء الأبدي في الحياة الأخرى" (٣).

وقال صلى الله عليه وسلم محذراً من خلق الانفصام :"إن شر الناس ذو الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه" (٤).

---

(١) روائع التفسير (٤٢٢/٢).

(٢) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (١٧٤/٢٨).

(٣) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) (٣٢/٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رقم (٧١٧٩) (٧١/٩).

٣-الأخلاق حصانة من الهوى

فالهوى أصل كل شر وسبب كل فتنة ووراء كل انحراف عقلي وفكري وعقدي يقول ابن القيم عن البدع والهوى :»وهذان هما أصل كل شر وفتنة وبلاء، وبهما كُذِّبت الرسل، وعصي الرب، ودخلت النار، وحلت العقوبة، فالأول من جهة الشبهات، والثاني من جهة الشهوات» [١].

ويقول الماوردي :''أما الهوى فهو عن الخير صادّ، وللعقل مضاد، لأنه ينتج من الأخلاق قبائحها، ويظهر من الأفعال فضائحها، ويجعل ستر المروءة مهتوكاً، ومدخل الشر مسلوكاً. قال ابن عباس رضي الله عنهما : الهوى إله يعبد من دون الله ثم تلا :(أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ) ''[٢] الجاثية :٢٣

ولهذا حرم الله اتباع هذا الخُلُق الذميم وحذر منه: قال تعالى :(فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ) النساء :١٣٥، وقال تعالى :(فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ) ص :٢٦، وقال تعالى :(وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّۖ) المائدة :٤٨، وقال تعالى :(وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ) المائدة :٧٧، وقال تعالى :(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ) القصص :٥٠، وقال تعالى :(وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ) المؤمنون :٧١، وقال صلى الله عليه وسلم :''إن مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومُضِلات الهوى'' [٣].

٤-الأخلاق حصانة من الغلو والتطرف الفكري: وهو البعد عن التوسط والاعتدال الذي يقوم عليه الإسلام ويتصف به المسلم والذي يشير إليه قوله تعالى :(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداۗ) البقرة :١٤٣.

---

(١) إعلام الموقعين (١٠٦/١).

(٢) أدب الدنيا والدين، (ص٢٩).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبو برزة، رقم (١٩٧٨٧) (٣٣/٣٣).

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى :»الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل، الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، الداخل تحت كسب العبد من غير مشقة عليها ولا انحلال، بل هو تكليف جار على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال» [1].

ولهذا حرم الله خلق التطرف والغلو وأمر بالتوسط والاعتدال: قال تعالى :(يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ) النساء :١٧١، وقال تعالى :(قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ) المائدة :٧٧، وقال تعالى :(يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ) البقرة :١٨٥، وقال تعالى :(وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ) الحج :٧٨، وقال **صلى الله عليه وسلم** :''أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة'' [2]، وقال **صلى الله عليه وسلم** :''إن الدين يسرٌ ولا يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه، فصددوا وقاربوا، وابشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة'' [3]. وقال **صلى الله عليه وسلم** :''إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين''[4]. وقال **صلى الله عليه وسلم** :''إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق'' [5].

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله :''إن الله وضع هذه الشريعة المباركة حنيفية سمحة سهلة حَفِظَ فيها على الخلق قلوبهم وحببها لهم بذلك، فلو عملوا خلاف السماح والسهولة، لدخل عليهم فيما كلفوا به مالا تخلص به أعمالهم'' [6].

---

(١) الموافقات (٢٧٩/٢).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رقم (٧٣٥١) (٢٢٩/٧).

(٣) أخرجه البخاري في صيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رقم (٣٩) (١٦/١).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رقم (٧٢٥٥) (١٩٧/١٢).

(٥) المصدر السابق من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، رقم (١٣٠٥٢) (٣٤٦/٢٠).

(٦) الموافقات (٢٣٣/٢).

٥- الأخلاق حصانة من الكذب عامة، والكذب التشريعي والفكري خاصة: فالكذب بلا شك يؤثر في بناء العقل والفكر وهذا ما يؤكده الواقع؛ ولهذا حرم الله خُلُق الكذب بناء للفكر وتحصيناً له: قال تعالى :﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾ النحل :١١٦.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعليقاً على الآية :»وإن من أكبر الجنايات أن يقول الشخص عن شيء إنه حلال وهو لا يدري ما حكم الله فيه، أو يقول عن الشيء إنه حرام وهو لا يدري عن حكم الله فيه، أو يقول عن الشيء إنه واجب وهو لا يدري أن الله أوجبه، ويقول عن الشيء إن غير واجب وهو لا يدري أن الله لم يوجبه...

فمن-مثلاً-من يتحزب إلى طائفة معينة، يقرر منهجاً ويستدل عليه بالأدلة التي قد تكون دليلاً عليه، ويحامي دونها، ويضلل من سواه حتى و إن كانوا أقرب إلى الحق منه، ويأخذ بمبدأ (من ليس معي فهو علي)، وهذا مبدأ خبيث؛ لأن هناك وسطاً بين أن يكون لك أو عليك، وإذا كان عليك بالحق فليكن عليك وهو في الحقيقة معك؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً " [1] ، ونصر الظالم أن تمنعه من الظلم، فلا حزبية في الإسلام، ولهذا لما ظهرت الأحزاب في المسلمين، وتنوعت الطرق، وتفرقت الأمة، وصار بعضهم يضلل بعضاً، ويأكل لحم أخيه ميتاً، لحقهم الفشل كما قال الله تعالى :﴿ لَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ الأنفال :٤٦.

لذلك نجد بعض طلاب العلم يكون عند شيخ من المشايخ، ينصر لهذا الشيخ بالحق والباطل ويعادي من سواه، ويضلله ويبدعه، ويرى أن شيخه هو العالم المصلح، ومن سواه إما جاهل او مفسد، وهذا غلط كبير، بل يجب أخذ قول من وافق قوله الكتاب والسنة وقول أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم" [2]، وقال تعالى :﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ الإسراء :٣٦

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه، رقم (٢٤٤٤) (١٢٨/٣).

(٢) كتاب العلم، (ص٥٧-٦١)(بتصرف).

إن ''هذه الشعور بالمسؤولية يربي في نفس الإنسان الوعي، واليقظة الدائمة والبعد عن المزالق وعدم الاستسلام للأهواء والبعد عن الظلم والبغي، والاستقامة في كل سلوك الإنسان وشئونه'' (١).

ويقول سيد قطب :''وهذه الكلمات القليلة تقيم منهجاً كاملاً للقلب والعقل، يشمل المنهج العلمي الذي عرفته البشرية حديثاً جداً، ويضيف إليه استقامة القلب ومراقبة الله، ميزة الإسلام على المناهج العقلية الجافة! فالتثبت من كل خير ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبل الحكم عليها هو دعوة القرآن الكريم، ومنهج الإسلام الدقيق. ومتى استقام القلب والعقل على هذا المنهج لم يبق مجال للوهم والخرافة في عالم العقيدة. ولم يبق مجال للظن والشبهة في عالم الحكم والقضاء والتعامل، ولم يبق مجال للأحكام السطحية والفروض الوهمية في عالم البحوث والتجارب والعلوم...

(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ).. ولا تتبع ما لم تعلمه علم اليقين، ولم تتثبت من صحته: من قول يقال ورواية تروى. ومن ظاهرة تفسر أو واقعة تعلل. ومن حكم شرعي أو قضية اعتقادية.

وفي الحديث :'' إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث'' (٢) وفي سنن أبي داود :''بئس مطية الرجل: زعموا'' (٣) وفي الحديث الآخر :''إن أفرى الفري أن يُري الرجل عينيه ما لم تريا'' (٤).

وهكذا تتظافر الآيات والأحاديث على تقرير ذلك المنهج الكامل المتكامل الذي لا يأخذ العقل وحده بالتحرج في أحكامه، والتثبت في استقرائه إنما يضل ذلك التحرج بالقلب في خواطره وتصوراته، وفي مشاعره وأحكامه، فلا يقول اللسان كلمة ولا يروي حادثةً ولا ينقل روايةً، ولا يحكم العقل حكماً ولا يبرم الإنسان أمراً إلا وقد تثبت من كل جزئيةٍ ومن كل ملابسةٍ ومن كل نتيجة فلم يبق هنالك شك ولا شبهة في صحتها'' (٥).

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع-عبدالرحمن النحلاوي، (ص٣٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رقم (٥٧١٧) (٢٢٥٣/٥).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه من حديث أبي مسعود، رقم (٤٩٧٤)(٥ /٤٩٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنه بلفظ (إن من أفرى الفرى أن يري عينه مالم تر)، رقم ((٦٦٣٦) (٢٥٨٢/٦).

(٥) في ظلال القرآن (٢٢٢٧/٤).

المبحث الخامس

الأســـــاس التشريعي

ويشتمل على: مفهوم التشريع، واهتمام القرآن بالتشريع، وأهمية التشريع في بناء الفكر.

مفهوم التشريع:

التشريع في اللغة: مصدر شرّع يشرع تشريعاً، و «التشريع سن القوانين» [1]، ''والشرع والشريعة: ما شرع الله للعباد من أمر الدين، وأمرهم بالتسمك به'' [2]، ويقول ابن فارس :'' (شرع) الشين والراء والعين أصل واحد، وهو شيء يفتح في امتداد يكون فيه. من ذلك الشريعة، وهي مورد الشاربة الماء، واشتق من ذلك الشرعة في الدين والشريعة قال الله تعالى :(لِكُلّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَة وَمِنْهَاجاً) المائدة :٤٨، وقال سبحانه :(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَة مِّنَ ٱلْأَمْرِ ...) الجاثية :١٨''[3].

''وشرع الدين يشرعه شرعاً: سَنَّهُ. وفي التنزيل :(شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحا...) الشورى :١٣'' [4].

معنى التشريع في الاصطلاح:

«التشريع في الاصطلاح الشرعي والقانوني هو سن القوانين التي تعرف منها الأحكام لأعمال المكلفين وما يحدث لهم من الأقضية والحوادث، فإن كان مصدر هذا التشريع هو الله سبحانه وتعالى بواسطة رسله وكتبه فهو التشريع الإلهي، وإن كان مصدره الناس سواء أكانوا أفراداً أم جماعات، فهو

(١) المعجم الوسيط-إبراهيم مصطفى وآخرون (مجمع اللغة العربية)، (ص٤٧٩).

(٢) المحيط في اللغة-اسماعيل بن عباد بن عباس الطالقاني، (٤٤/١).

(٣) معجم مقاييس اللغة: (٢٦٣/٣).

(٤) المحكم والمحيط الأعظم-علي بن إسماعيل بن سيدة (٣٧٠/١).

التشريع الوضعي» [1].

''إن الشريعة والشرع الإسلامي بالمعنى الاصطلاحي: هو جملة الأحكام و القواعد التي سنها تعالى لعباده، والتي أنزلها على نبينا **صلى الله عليه وسلم**، مما يتعلق بأحكام العقيدة، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، وهذا المعنى يطابق ويوافق معنى كلمة الدين الوارد في قول الله تعالى :﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ المائدة :٣ « [2].

اهتمـام القـرآن بالتشـريع

يعد القرآن الكريم كتاب التشريع الإسلامي الأول الخالد الذي لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي معارفه وعلومه ولا يبلى على كثرة الورود عليه والرد إليه، فيه علم الأولين والآخرين، علم ما كان وما يكون وما سيكون إلى يوم القيامة، ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ فصلت :٤٢

شملت تشريعاته كل الناس واشتملت على بيان كل شيء مما يحتاجون اليه في معاشهم ومعادهم: عقيدة، وعبادات، ومعاملات، وأخلاقا...الخ، قال **تعالى** :﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ النحل :٨٩

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال :أما إني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :''إنها ستكون فتن، قال: قلت: فما المخرج؟ قال: كتاب الله، في نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى-أو قال العلم- من غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، و لا يَخْلَق من كثره الرد، ولا تنقضي عجائبه وهو الذي لم ينته الجن إذ سمعته حتى قالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد، من قال

(١) خلاصة التشريع الإسلامي-عبد الوهاب خلاف، (ص٧).

(٢) مبادئ الشريعة الإسلامية-دكتور/ أسامة الحموي، (ص١٤).

به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم" [1].

وفي هذه إشارة إلى أهمية القرآن ومكانته في التشريع الإسلامي باعتباره كتاب التشريع الإسلامي الأول، وإلى أهمية التشريع الإسلامي بعموميته وشموليته في بناء الفكر وتحصينه.

مظاهر اهتمام القرآن بالتشريع:

ويمكن إبراز هذه الأهمية التشريعية الشمولية للقرآن الكريم وبصورة مختصرة جداً في مظهرين أساسين:

الأول: الشمول التشريعي الإجمالي: ففي القرآن الكريم آيات بمثابة المبادئ الأساسية العامة والقواعد الكلية للتشريع الإسلامي وهي كثيرة جداً منها على سبيل المثال لا الحصر:

الآيات المقررة لمبدأ الشورى، مثل قوله تعالى :(وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ) ال عمران :١٥٩

الآيات المقررة لمبدأ العدل، قوله تعالى :(وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ) النساء :٥٨

الآيات المقررة لمبدأ المساواة، مثل قوله تعالى :(إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَة) الحجرات :١٠

الآيات المقررة لأحكام السلم والحرب، مثل قوله تعالى :(وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ) الأنفال :٦١، وقوله تعالى :(وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّة كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً) التوبة :٣٦

الآيات المقررة لحق الحياة، مثل قوله تعالى :(وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰة يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) البقرة :١٧٩

الآيات المقررة لمبدأ تكريم الإنسان، مثل قوله تعالى :(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ) الإسراء :٧٠

الآيات المقررة لمبدأ الولاء والبراء، مثل قوله تعالى :(لَّا تَجِدُ قَوْما يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، رقم (١٧٨٨) (٣٣٥/٣).

ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ) المجادلة :٢٢

الآيات المقررة لوحدة الأصل البشري، مثل قوله تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا) النساء :١

الآيات المقررة لمعيار التفاضل بين الناس، مثل قوله تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ) الحجرات :١٣

الثاني: الشمول التشريعي التفصيلي: التشريع الإسلامي المستمد من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تشريع شامل لكل شئون الحياة ومجالاتها المختلفة، وكل ما يحتاجه الإنسان في الدين والدنيا والآخرة في كل زمان وكل مكان: عقائد، وعبادات، وأخلاقاً، ومعاملات.

وكل ما مر من مباحث يعكس هذه الشمولية وسوف نعرض هنا ملخصاً لأبرز مظاهرها:

شمول العقيدة: فإن القرآن قد عرض بالتفصيل لكل القضايا العقدية مثل: الإلهيات والنبوات، والأسماء والصفات والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى، والثواب والعقاب، والجنة والنار... وغير ذلك كما مر معنا في مبحث الأساس العقدي.

شمول العبادة: فالعبادة لا تقتصر على أداء الفرائض المعروفة: من صلاة وصيام وزكاة وحج، بل إن مفهومها في الإسلام أعم وأشمل من ذلك، فهي-كما مر معنا في مبحث الأساس العبادي-، وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية :»العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة» [1].

ويؤكد هذا المعنى قول الله تعالى :(قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ) الأنعام :١٦٢،١٦٣

(١) الفتاوى الكبرى (١٥٤/٥).

شمول الأخلاق: فإن «من خصائص نظام الأخلاق في الإسلام الشمول، ونعني به أن دائرة الأخلاق الإسلامية واسعة جداً، فهي تشمل جميع أفعال الإنسان الخاصة بنفسه أو المتعلقة بغيره سواء أكان الغير فرداً أو جماعة أو دولة، فلا يخرج شيء عن دائرة الأخلاق، ولزوم مراعاة معاني الأخلاق مما لا نجد له نظيراً في أية شريعة سماوية سابقة ولا في أية شريعة وضعية» [1]كما مر معنا في مبحث (الأساس القيمي).

فهي ضمن كل تشريع من التشريعات الإسلامية: العقدية، والعبادات، والمعاملات...وغيرها، كما يقول الإمام ابن القيم رحمه الله " الدين كله خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين" [2].

شمول المعاملات: كذلك المعاملات فإنها تشمل جميع أنواع المعاملات: المالية والاقتصادية: كالبيع والشراء، والرهن والهبة، والوقف والهدية، والميراث، والقرض، والربا، والإجارة...الخ، والاجتماعية: كعلاقة الوالد بالولد، والولد بالوالد، والزوج بزوجته، والجار بجاره، والغني بالفقير، والقريب بأقاربه، والقوي بالضعيف، والفرد بالجماعة، وعلاقة الصالح بالفاسد، والطائع بالعاصي... وهكذا تتسع دائرة العلاقات حتى نشمل الحياة كلها.

شمول العقوبات: فقد وضع الإسلام عقوبات لكل أنواع الجنايات، وهي ثلاثة أنواع:

الأول: الحدود: مثل: حد القتل، وحد الزنا بنوعيه (الجلد والرجم)، وحد القذف، وحد اللواط، وحد السرقة، وحد الفساد في الأرض (قطع الطريق)، وحد الحرابة، وحد الخمر، ...الخ.

الثاني: القصاص: وهو أن يُفْعَلَ بالجاني مثل ما فُعِلَ بالمجني عليه، فإن قَتَل قُتِل، وإن قطع منه عضواً أو جرحه فعل به مثل ذلك إن أمكن ما لم يؤد إلى وفاة الجاني كما قال تعالى :﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ المائدة :٤٥

(١) أصول الدعوة-عبدالكريم زيدان،(ص٨٤).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢٩٤/٢).

الثالث: التعزير: مثل: التعزير بالقتل، والتعزير بالجلد، والتعزير بالحبس، والتعزير بالنفي، والتعزير بالهجر، والتعزير بالمال: غرامةً، أو اتلافاً، أو تغييراً لعين المال، والتعزير بالوعظ، والتعزير بالحرمان، والتعزير بالتوبيخ والتشهير...الخ

أهمية التشريع في بناء الفكر

يتضح مما سبق أن التشريعات-على النحو الذي عرضناه-تشتمل على كل أسس البناء الفكري التي سبق عرضها: الأساس العقدي، والأساس العلمي والأساس العبادي، والأساس القيمي والأخلاقي، وهذا يعني أن الأساس التشريعي هو أبو الأسس وأصلها في البناء الفكري، فإذا كان كذلك فهذا يعني-بلا شك- أنه أهم أسس بناء الفكر وتحصين العقل.

❊ ❊ ❊

المصادر والمراجع

١. إحياء علوم الدين: محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، دار الفكر. بيروت ط١، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٢. أدب الدنيا والدين: علي بن محمد بن محمد الماوردي، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.

٣. الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية. بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٤. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أحمد بن أبي بكر القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية. مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ.

٥. الأزمة الفكرية المعاصرة: طه جابر العلواني الدكتور، الدار العالمية للكتاب الإسلامي. الرياض، ط٤، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٦. أساليب تدريس التربية الإسلامية: محمد هاشم ريان، وآخرون، جامعة القدس المفتوحة. عمان، ٢٠١٢م.

٧. الأسس العقدية والاجتماعية والتفسية للمناهج الدراسية للملكة العربية السعودية- ورقة عمل مقدمة لندوة بناء المناهج- الأسس والمنطلقات- كلية التربية- جامعة الملك سعود- إعداد/ د. عبدالإله عبدالله المشرف.

٨. أصول التربية الإسلامية واساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر. ط٢٥، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٩. أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة. بيروت، ط٩، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

١٠. إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق/ محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية. بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

١١. الأمثال: القاسم بن سلام عبدالله الهروي، تحقيق/ عبد المجيد قطامش الدكتور، دار المأمون للتراث. ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
١٢. أمراض القلوب وشفاؤها: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، المطبعة السلفية. القاهرة، ط٢، ١٣٩٩هـ.
١٣. تاج العروس: محمد بن محمد مرتضى الزبيدي، دار الهداية.
١٤. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، الدار التونسية. تونس، ١٩٨٤م.
١٥. التعريفات: علي بن محمد بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتب العلمية. بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
١٦. تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الكتب العلمية. بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
١٧. تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
١٨. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري، تحقيق/ محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي. بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
١٩. التوقيف على مهمات التعاريف: محمد المدعو بعبدالرؤوف بن تاج العارفين المناوي، عالم الكتب. القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٢٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي، تحقيق/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة. بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
٢١. الثقافة الإسلامية: عزمي طه السيد وآخرون، دار المناهج للنشر والتوزيع. عمان-الأردن، ١٤٣٠هـ-٢٠١٠م.
٢٢. الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق/ أحمد البردوني، وآخرون، دار الكتب المصرية. القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
٢٣. جمهرة الأمثال: الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، دار الفكر. بيروت.

٢٤. جمهرة اللغة: محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، دار العلم للملايين. بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
٢٥. حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي، ط١، ١٣٩٧هـ.
٢٦. خلاصة التشريع الإسلامي: عبد الوهاب خلاف، دار القلم. الكويت، ط٩، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.
٢٧. دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاح الفنون): عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، دار الكتب العلمية. بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٢٨. دلائل النبوة: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، دار الكتب العلمية. بيروت.
٢٩. الرحيق المختوم: صفي الرحمن المباركفوري، دار الهلال. بيروت، ط١.
٣٠. روائع التفسير (الجامع لتفسير ابن رجب الحنبلي): عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جمع وترتيب/ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة. السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٣١. سنن ابن ماجة: محمد بن ماجة القزويني، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
٣٢. سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي، تحقيق/ محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية. بيروت.
٣٣. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى الترمذي، تحقيق/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي. بيروت، ١٩٩٨م.
٣٤. السنن الصغرى : أحمد بن شعيب بن علي النسائي، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية.ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٣٥. السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية. بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٣٦. سنن النسائي: أحمد بن شعيب بن علي الخرساني النسائي، تحقيق/ عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية. حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٣٧. السيرة النبوية (لابن كثير): إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق/ مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة. بيروت، ١٣٩٥هـ-١٩٧٦م.

٣٨. السيرة النبوية (للندوي): علي أبو الحسن بن عبد الحي الندوي، دار ابن كثير. دمشق،ط١٢، ١٤٢٥هـ.

٣٩. شرح العقيدة الواسطية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق/ أشرف عبد المقصود، أضواء السلف. الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٤٠. شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق/ عبد العلي عبد الحميد حامد الدكتور، مكتبة الرشد. الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٤١. الصحاح تاج اللغة العربية: إسماعيل بن محمد الجوهري، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين. بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٤٢. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة. ط١، ١٤٢٢هـ.

٤٣. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار التراث العربي. بيروت.

٤٤. عناصر القوة في الإسلام: سيد سابق، دار الكتاب العربي. بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٤٥. العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق/ د. مهدي المخرومى وآخرون، دار ومكتبة الهلال. بيروت.

٤٦. الفتاوى الكبرى: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، دار الكتب العلمية. ط١، ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م.

٤٧. فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار: الحسن بن أحمد بن يوسف الصنعاني، تحقيق/ مجموعة بإشراف الشيخ علي العمران، دار عالم الفوائد. ط١، ١٤٢٧هـ.
٤٨. الفروق اللغوية: الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، تحقيق/ محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة. القاهرة.
٤٩. في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق. بيروت، ط١٧، ١٤١٢هـ.
٥٠. القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً: سعدي أبو حبيب الدكتور، دار الفكر. دمشق، ط٢، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
٥١. القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة. بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٥٢. القرآن وعلم النفس: مفتاح عبد العزيز الدكتور، جامعة قاز يونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٦م.
٥٣. قوت القلوب في معاملة المحبوب: محمد بن علي بن عطية الحارثي، تحقيق/ عاصم إبراهيم الكيالي الدكتور، دار الكتب العلمية. بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٥٤. كتاب العلم: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، تحقيق/ صلاح الدين محمود، مكتبة نور الهدى.
٥٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، دار الكتاب العربي. بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٥٦. الكليات: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، مؤسسة الرسالة. بيروت.
٥٧. الكنى والأسماء: محمد بن أحمد بن حماد الدولابي، تحقيق/ نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم. بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٥٨. لباب التأويل في معاني التنزيل: علي بن محمد بن إبراهيم الخازن، تحقيق/ محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية. بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٥٩. لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري، دار صادر. بيروت، ط٣،

١٤١٤هـ.

٦٠. مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة: ناصر بن عبدالكريم العقل، دار الوطن للنشر. السعودية. ط١، ١٤١٢هـ.

٦١. مبادئ الشريعة الإسلامية: أسامة الحموي الدكتور، مشورات جامعة دمشق، ١٤٢٩-١٤٣٠هـ، ٢٠٠٨-٢٠٠٩م.

٦٢. المبادئ والقيم في التربية الإسلامية: محمد جميل خياط، مطابع جامعة أم القرى. مكة المكرمة، ١٤١٦هـ.

٦٣. مجلة إسلامية المعرفة-المعهد العالمي للفكر الإسلامي: عمان، الأردن.

٦٤. مجلة المنار الثقافية الدولية الالكترونية.

٦٥. مجموع الفتاوى: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. المدينة المنورة، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٦٦. مجموع فتاوى العلامة ابن باز: عبد العزيز بن عبدالله بن باز، أشرف على جمعه وطبعه/ محمد بن سعد الشويعر.

٦٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبد الحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية، تحقيق/ عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية. بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٦٨. المحكم والمحيط الأعظم: علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية. بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٦٩. المحيط في اللغة: اسماعيل بن عباد المشهور بالصاحب بن عباد، تحقيق/ محمد حسن ال ياسين، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٧٠. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق/ محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي. بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٧١. المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبدالله بن محمد الحاكم، تحقيق/ مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية. بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٧٢. مسند الإمام أحمد: أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة. ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٧٣. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار: أحمد بن عمرو بن عبد الخالق المعروف بالبزار، تحقيق/ محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، مكتبة العلوم والحكم. والمدينة المنورة ط١، ١٩٨٨-٢٠٠٩م.

٧٤. مسند الشاميين: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة. بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

٧٥. مسند الشهاب: محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي، تحقيق/ حمدي بن عبد الحميد السلفي، مؤسسة الرسالة. بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

٧٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية. بيروت.

٧٧. المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق/ طارق بن عوض الله بن محمد، وآخرون، دار الحرمين. القاهرة.

٧٨. معجم الفروق اللغوية: الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، تحقيق وترتيب/ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي. ط١، ١٤١٢هـ.

٧٩. معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عبد الحميد عمر الدكتور، عالم الكتب. الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٨٠. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى وآخرون)، دار الدعوة.

٨١. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية. بيروت.

٨٢. المفردات في غريب القرآن: الحسين بن محمد المعروق بن الراغب الأصفهاني، تحقيق/ صفوان عدنان الداودي، دار القلم. بيروت. ط١، ١٤١٢هـ.

٨٣. مقاييس اللغة: أحمد فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر. دمشق، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٨٤. مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي: عبد الكريم بكار، دار القلم. دمشق.

٨٥. الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، تحقيق/ مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان. ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٨٦. الموطأ: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي، تحقيق/ محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية. أبو ظبي-الإمارات، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.